المحاضرة التمهيدية

عناصر المحاضرة

- **المعلومات العامة عن المقرر**
- **محتوى المقرر.**
- **أهداف المقرر.**
- **المصادر والمراجع**
- **الاختبارات والواجبات والمنتديات.**

المعلومات العامة عن المقرر:

القسم

الدراسات الاجتماعية / التاريخ

اسم المقرر:

تاريخ الخلفاء الراشدين

المتطلب السابق :

تاريخ السيرة النبوية

عدد الساعات : ٢

طبيعة المقرر: نظري.

محتوى المقرر:

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٥-٤٠هـ، طريقة اختياره، الموقف العام في الدولة الإسلامية، الصدام بين علي ومعاوية وأسبابه، الجمل، صفين، التحكيم، وفتنة

الخوارج، ثم استشهاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستخلاف الحسن وتنازله عن الخلافة ونهاية دولة الراشدين.

أهداف المقرر:

- التعريف بمراحل التطور التاريخي للدولة الإسلامية.

- التعرف على سياسة الخلفاء الراشدين وقيادتهم للمسلمين.

- التعرف على قادة المسلمين وريادتهم التاريخية وجهودهم في بناء الدولة الإسلامية.

المراجع المقررة:

المرجع الرئيس:

الشيخ الأمين عوض الله، تاريخ الخلفاء الراشدين.

المراجع المساعدة:

محمد الخضري، السيرة النبوية والخلفاء الراشدون.

محمد إبراهيم آل الشيخ، تاريخ الخلفاء الراشدين.

مصطفى كمال الدين حلمي، نظام الخلافة ونشأتها.

شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول.

مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية.

محمد عبد الفتاح عليان، الخلفاء الراشدين.

الاختبارات والواجبات والمنتديات:

١-ستجدون على البلاك بورد ما يوضح ضرورة المشاركة في المنتديات والتي تهدف إلى الإجابة على أكبر قدر ممكن من الأسئلة والاستفسارات وسيخصص لها ١٠ درجات وفق تقييم عدد المرات التي يشارك فيها الطالب – الطالبة.

٢- سيخصص لكم بمشيئة الله واجبان خلال الفصل الدراسي وسيخصص لكل واجب ٥ درجات.

٣- سيكون هناك ١٠ درجات خاصة بحضور المحاضرات المباشره، والتي ستحدد لاحقاً من قبل عمادة التعليم عن بعد.

المحاضرة الاولى

الخليفة الأول

أبو بكر الصديق

٦٣٢-٦٣٤م - ١١-١٣ هـ

عناصر المحاضرة

- **التعريف بأبي بكر الصديق رضي الله عنه.**
- **نشأته وإسلامه.**
- **دور أبي بكر في الهجرة.**
- **موقف أبي بكر عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.**
- **حديث السقيفة وخلافة أبي بكر.**

التعريف بأبي بكر:

هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن النضر بن مالك. ويلتقي نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر من بني تيم مرة، فكلا أبوية من تيم، وقد اشتهروا في الجاهلية بالأدب والأمانة.

كان أبو بكر رجلا مألوفا عند قومه ، محببا سهلا ، وكان رجلا تاجرا ذا خلق معروف وكان انسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه ، وتجارته . وحسن مجالسته.

وكان أبو بكر يسمى في الجاهلية عبد الكعبة ، وقيل عبد اللات أو عبدالعزى فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم : عبدالله ، ولقب بالعتيق ، قيل لان امه كانت لا يعيش لها ولد ، فاستقبلت به الكعبة، وقالت هذا عتيقك من الموت ، او لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله أعتقه من النار.

واشتهر أبو بكر بالصديق، لأنه أول من صدق النبي صلى الله عليه وسلم من الرجال، وكان يقول في كل شيء صدقت خاصة صبيحة ليلة الاسراء. أما كنيته بأبي بكر فلم تذكر الروايات سببها، ولكن بعض المتأخرين استنبط انه كني بها لأنه بكر بالإسلام قبل غيره.

نشأته وإسلامه:

ولد ابو بكر رضي الله عنه في السنه الثانية أو الثالثة من عام الفيل، وقد نشأ على مكارم الاخلاق، وعرف عنه أنه حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وعندما سئل عن سبب ذلك قال:(حفظاً لعرضي وصوناً لمروءتي).

كان أبو بكر الصديق تاجرا في الجاهلية، وكان بزازاً يتاجر بالثياب، وتقول السيدة عائشة بنته: كان مال أبي بكر حين أسلم أربعين ألف دينار أنفقها في سبيل الدعوة الاسلامية وفي شراء المستضعفين من المسلمين الذين كان يعذبهم كفار قريش وعتقهم بعد ذلك.

صحب أبو بكر الصديق النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، ولما نزلت الرسالة على محمد بن عبدالله كان أبو بكر أول من آمن من الرجال. وفي هذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم (ما دعوت أحداً الى الاسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر).

لم يكتف أبو بكر الصديق بقبوله بالدعوة الاسلامية، وإنما قام يدعوا لها – فقد كان داعية بحق – فأسلم بدعائه: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. وطلحة بن عبيدالله، وكان هؤلاء جميعا من السابقين الأولين الذين أدوا أجل الخدمات للاسلام، ومن عتقاء أبي بكر، بلال بن رباح، وعامر بن فهيرة، وأم عبيس، وذنيره، والنهديه وبنتها، وجارية بني مؤمل. وقد قال له والده أبي قحافة: يابني اني أراك تعتق رقابا ضعافاً، فلو أنك اذ فعلت ما فعلت اعتقت رجالاً جلدا يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال أبو بكر: يا أبت، واني انما أريد وجه الله عز وجل.

وقد كان رد أبي بكر على والده دليلا على صدق ايمان أبي بكر وتعاونه في دعوة الاسلام، فقد كان أبو بكر فيمن يؤذى من كفار قريش، وكان حريا به ان كان رجل دنيا أن يعمل له

حراسا من عتقائه ليحموه، ولكنه لم يكن يريد أن يتميز على بقية المسلمين بشيء، فجزاه الله عن دعوة الاسلام خيراً كثيراً.

وهمَّ أبو بكر بالهجرة الى الحبشة ليتخلص من أذى قريش له بعد أن سمح الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة اليها، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول له:

(لاتعجل لعل الله يجعل لك صباحاً) فيطمع أبو بكر أن يكون هو صاحبه.

دور أبي بكر في الهجرة:

لقد اعتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر اما بكرة أو عشية، ولكنه في اليوم الذي أذن له بالهجرة جاء بيت أبي بكر بالهاجرة، وعندما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر بخبر الهجرة قال له أبو بكر: الصحبة يا رسول الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصحبة يا أبابكر، فما كان من أبي بكر الا أن أجهش بالبكاء، وتحكي السيدة عائشة وتقول:(فوالله ما شعرت قط قبل ذلك أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ).

أما بالنسبة لدوره في الهجرة فنجد أنه قد ابتاع راحلتين ودفعهما لعبد الله بن أريقط ليرعاهما ويكون دليلهما في الهجرة، وقام ولده عبدالله بتسقط أخبار قريش وكان يأتيهما بها في الغار يومياً، وتقوم بنته أسماء بتزويدهما بالطعام في الغار يومياً، وكان دور مولاه عامر بن فهيره هو أخذ أغنامه والمرور بها على آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر فيمحوها ويمر عليها بالأغنام فيحتلبا لبنها.

وعلى الرغم مما بذله أبو بكر في سبيل الدعوة الاسلامية وفي الذود عن رائدها الا أنه كان حارسه الأمين في الغار ولم يغمض له جفن طيلة الثلاثة أيام التي قضوها فيه، وكان صاحبه ومعينه طيلة مدة الرحلة حتى قدما المدينة المنورة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صحبة، وإخاء وإيمان حتى يجمع الله بيننا عنده).

موقف أبي بكر عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان أبو بكر خارج المدينة عندما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندما علم بخبر الوفاة قدم للمدينة، ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة وهو مسجى

في ناحية البيت، فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل عليه فقبله وقال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتبت عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا، ثم خرج الى المسجد، وكان عمر يكلم الناس ويقول لهم: (ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وأنه والله ما مات، ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات).

فقال أبو بكر: على رسلك ياعمر فأنصت، فأبى الا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لاينصت أقبل على الناس، فلما سمع كلامه أقبلوا عليه، وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، انه من كان يعبد محمداً فإن محمد قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا الآية الكريمة: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين). قال الراوي: والله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر يومئذ.

كما يروى عن عمر أنه قال: فوالله ما هو الا إذ سمعتها فعقرت حتى وقعت على الارض وما تحملني رجلاي، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات.

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصل خبره الى مكة وعامله عليها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم، فاجتمعوا إليه، فقال: يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد، والله ليتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقد رأيته قائما مقامي هذا وحده وهو يقول: قولوا معي لا اله إلا الله تدن لكم العرب وتؤد اليكم العجم الجزية، والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله ، فمن بين مستهزئ ومصدق فكان ما رأيتم ، والله ليكونن الباقي – فامتنع الناس من الردة، وهذا الكلام قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسر سهيل بن عمرو في بدر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حديث السقيفة وخلافة أبي بكر:

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعده وعليهم سعد بن عبادة الخزرجي وكان سعد مريضاً فحملوه حملا وكان مضطجعاً ومغطى بكساء وكان يقول كلامه للأنصار لابنه الذي يقوله جهراً للأنصار فمما قال:

(يامعشر الانصار إن لكم سابقة الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في قومه بضعة عشر سنه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الاوثان، فما آمن به من قومه الا قليل، والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفوا دينه، ولا يدفعوا عن انفسهم، حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة، وساق اليكم الكرامة،وخصكم بالنعمة، ورزقكم الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم والمنع له ولأصحابه والإعزاز لدينه، والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم، حتى استقاموا لأمر الله تعالى طوعا وكرها، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله وهو راض عنكم قرير العين، فشدوا أيديكم بهذا الامر، فإنكم أحق الناس وأولاهم به).

فأجابوه جميعا: أن قد وفقت الرأي، وأصبت فى القول، ولن نعدوا ما رأيت توليتك هذا الامر، فأتى الخبر الى عمر وأبي بكر ففزعا من أن يحدث خلافا بين المسلمين وأسرعا الى سقيفة بني ساعدة وفي الطريق لقيا أبا عبيدة بن الجراح فاصطحباه معهما، وأراد عمر أن يبدأ الكلام الا أن أبا بكر قال لعمر على رسلك ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وقال: (ان الله قد بعث فينا رسولا شهيدا على امته ليعبدوه ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر وخشب، فعظم على العرب ان يتركوا دين ابائهم . فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقة والمواساة له والصبر معه على شدة اذى قومهم لهم وتكذيبهم إياهم.... فلم يستوحشوا لقلة عددهم، فهم أول من عبد الله في هذه الارض وآمن بالله وبالرسول وهم اولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده لا ينازعهم الا ظالم، وانتم يا معشر الانصار، من لاينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الاسلام، رضيكم الله انصارا لدينه ورسوله وجعل اليكم هجرته فليس بعد المهاجرين الاولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الامراء وانتم الوزراء لا تفاوتون بمشورة ولاتقضى دونكم الامور).

فقام الحباب بن المنذر فقال: يا معشر الانصار املكوا عليكم امركم، فان الناس في ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ولايصدروا الا عن رأيكم، وانتم اهل العز وأولوا العدد والمنعة وذوو البأس، وانما ينظر الناس ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم ، أبى هؤلاء الا ما سمعتم فمنا امير ومنكم امير.

فقال عمر : (هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد، والله لاترضى العرب ان تؤمركم ونبيها من غيركم، ولاتمتنع العرب ان تولي امرها من كانت النبوة فيهم، ولنا بذلك الحجة

الظاهرة، ومن ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته؟ الا مدل بباطل او متجانف لاثم أو متورط في هلكه).

فأخذ الحباب يبرق ويرعد، ويقول: (يامعشر الانصار املكوا على ايديكم ولاتسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر، فإن أبوا عليكم فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الامور فأنتم والله احق بهذا الامر منهم، فإنه بأسيافكم دان الناس لهذا الدين، انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، انا ابو الشبل في عرينه الاسد، والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة).

فقال عمر: اذا يقتلك الله. فقال الحباب: بل اياك يقتل. وتدخل أبو عبيدة بن الجراح وقال:(يامعشر الانصار انكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من غير وبدل).

وقد وقعت كلمة ابي عبيدة موقعا حسنا من نفس بشير بن سعد الانصاري فتدخل في المناقشة وقال: (يامعشر الانصار انا والله وان كنا اولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في الدين ما أردنا به الا رضى ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا، فما ينبغي ان نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به الدنيا، الا أن محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أولى به ... فاتقوا الله ولا تخالفوهم).

فقال ابو بكر: هذا عمر وهذا أبوعبيدة، فأيهما شئتم فبايعوه،فقام عمر الى أبي بكر وقال له: أنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم – في الصلاة ،وهي افضل دين المسلمين، ابسط يدك نبايعك، فنبايع خير من أحب رسول الله منا جميعا، وبايع عمر وأبو عبيدة أبابكر ، كما بايعه بشير بن سعد. ولما رأت الاوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد قال بعضهم لبعض، وفيهم أسيد بن حضير، وكان نقيباً – والله لئن وليتها الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم فيها نصيبا ابدا، فقوموا فبايعوا ابابكر. فبايعوه، فانكسر على سعد والخزرج ما اجمعوا عليه، واقبل الناس يبايعون ابا بكر من كل جانب.وكانوا يثبون فوق سعد بن عبادة حتى وطئوه، وطلب سعد من اصحابه ان يحملوه الى داره فحملوه.

المحاضرة الثانية

عناصر المحاضرة

- **البيعة العامة.**
- **موقف علي من بيعة أبي بكر.**
- **رأي بعض المستشرقين في بيعة أبي بكر.**
- **إنفاذ جيش أسامة.**
- **نتائج حملة أسامة.**

البيعة العامة

جلس أبوبكر الصديق في اليوم التالي بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وقام عمر بن الخطاب يعتذر للمسلمين عما بدر عنه في خطبته بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم دعا الناس لمبايعة أبي بكر قائلا:(ان الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين اذ هما في الغار، فقوموا فبايعوا). فبايع الناس جميعا أبا بكر الصديق، وكان ذلك في ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة.

وبعد أن تمت البيعة لأبي بكر خطب الناس خطبة قصيرة أعلن فيها منهجه في الحكم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فان أحسنت فأعينوني، وان أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، ان شاء الله تعالى لا يدع أحدكم الجهاد فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله).

موقف علي من بيعة ابي بكر:

اختلفت الروايات في تحديد الموقف الذي اتخذه علي كرم الله وجهه من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهناك رواية تقول: ان عليا كان في بيته اذ أتاه من قال له ان أبا بكر قد جلس للبيعة في المسجد، فخرج في قميص ما عليه ازار ولا رداء عجلا حتى بايعه، ثم استدعى ازارة ورداءه فتجلله بجانب أبي بكر.

وهناك روايات أخرى تشير الى أن عليا تخلف عن بيعة ابي بكر، وتختلف المصادر في مدة تخلفة فبعضها يجعله أربعين يوماً وفي بعضها خمسة وسبعين يوماً وفي بعضها ستة أشهر، ويعللون أسباب تأخر علي عن مبايعة أبي بكر أنه كان يرى احقيته في خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال لأبي بكر لو احتججت عليكم بمثلما احتججتم على الانصار بأنكم أهل رسول الله وعشيرته فأنا أحق بمحمد حياً وميتا، وقيل ان بني هاشم كلهم لم يبايعوا أبا بكر حتى بايعه علي.

وقيل كذلك ان أبا سفيان قال لعلي: اني لأرى عجاجة لايطفئها الا الدم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان أين الأذلان: علي والعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ثم قال لعلي: ابسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً. فأبى علي كرم الله وجهه عليه، فتمثل بشعر الملتمس:

ولن يقيم علـى خسف يراد به إلا الأذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف معكوس برمته وذا يشـج فلا يبكـي له أحد

فزجره علي وقال: والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة وانك والله طالما بغيت للإسلام شرا، لا حاجة لنا في نصيحتك، ويقال أنه أضاف:(إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا).

وبعد إيراد هذه النصوص يتأكد لنا أن علي بن أبي طالب إما أن يكون بايع أبا بكر في البيعة العامة، وإما أن يكون قد تأخر لبعض الوقت، وقد وردت رواية تقول أنه آل على نفسه ألا يخرج من بيته حتى يجمع القرآن فمكث أربعين يوما

حتى جمعه، ثم خرج فبايع، ثم إنه كان يمارض زوجته فاطمة بنت رسول الله التي كانت أول الناس لحوقاً بأبيها من آل البيت وفي رواية أخرى: إن وفاتها كانت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة وسبعين يوماً، وأن ردود علي بن أبي طالب لأبي سفيان لتؤكد أن علياً كان أتقى من أن يستثارلعمل فتنة بين المسلمين.

رأي بعض المستشرقين في بيعة أبي بكر

زعم بعض المستشرقين مثل لامانس أن بيعة أبي بكر كانت نتيجة مؤامرة سياسية دبرها أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة في حياة الرسول واستدل على ذلك بما ياتي:

١- حضور هؤلاء الثلاثة مؤتمر السقيفة دون غيرهم من المهاجرين.

٢- أن عمر كان أول من بايع أبا بكر، وأن الصديق قد عهد بها إلى عمر، ولولا أن أبا عبيدة قد توفي قبل وفاة عمر بن الخطاب لعهد بالخلافة إليه، وقد نقل عنه أنه قال :لو كان أبو عبيدة حيا لعهدت إليه.

٣- أن عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر كان لها نصيب في تلك المؤامرة فهما اللتان، أوعزتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمر أبا بكر بالصلاة مكانه أيام مرضه، وبدهي أن تتفق الزوجتان على تقديم أبي بكر لسبقه في السن والاسلام ، ولمكانة ام مؤمنين عائشة.

هذه المزاعم التي ساقها لامانس وغيره من المستشرقين لا تثبت أمام الحجة والبرهان، فالمعروف أن أبا بكر عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان خارج المدينة في منزله بالسنح، فلو كان متآمراً– والعياذ بالله – لما غادر المدينة ولبقي مترقبا حذرا ليثب على الخلافة عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ان عمر بن الخطاب أصيب بالذهول عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبدا يخطب في الصحابة محاولا إقناعهم بأن محمدا لم يمت وإنما ذهب يناجي ربه كما ذهب موسى وانه اذا عاد ليقطعن أيدي أناس وأرجلهم زعموا أن محمداً قد مات (فكيف يكون هذا موقف

عمر من موت رسول الله ويكون هو المخطط بالاشتراك مع الصحابة للانقضاض على الخلافة).

إن أبا بكر وعمر سمعا بتجمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وخرجا اليهم درءاً للفتنة، وفي الطريق قابلهما أبو عبيدة بن الجراح فاصطحباه معهما ولم يكن أبو بكر راغباً في الخلافة إنما أرغم عليها، وقبلها تحملاً للمسئولية وعلى أساس أنها تكليفاً وليست تشريفاً.

وعندما أشرف أبو بكر على الموت، استشار عدول الصحابة في عمر بن الخطاب وكلهم أجمعوا على أنه أنسب لها وهو الذي يقوى على حملها، وخشي أبو بكر أن تحدث فتنة بعد وفاته كما حدثت بعد وفاة الرسول فآثر أن يقضي على الخلاف حتى لايفت من عضد الدولة.

أما أن عمر بن الخطاب أراد أن يعهد بالخلافة الى أبي عبيدة، فذلك لأنه سمع رسول الله يقول فيه (أبو عبيدة أمين هذه الامة) ولم يذكر عمر أبا عبيده وحده ولكنه ذكر صحابة آخرين وأشاد بهم وقال إنهم أولى بهذا الأمر،فهذه الموافقة لا تعني أي تدبير أو تخطيط، وبما ان المستشرقين يتحدثون بعقلية أوربية ويدركون المؤامرات التي تحاك لاحتلال المناصب فقد ظنوا أن المسلمين لا يختلفون عن غيرهم، وشتان بين هؤلاء وأولئك.

والزعم الأخير بأن عائشة وحفصة اتفقتا على تقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ليصلي بالمسلمين، باطل من أساسه لأن عائشة لم توافق على هذا الأمر عندما طلب الرسول من صحابته أن يطلبوا من أبي بكر الصلاة بالناس، وقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا بكر رجل أسيف (أي رجل سريع الحزن والبكاء) لو وليت عمر، فكان رد رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنكن صويحبات يوسف)، وهذا يؤكد أن السيدة عائشة لم تكن تقبل أن يتولى أبوبكر الصديق الصلاة بالناس ناهيك عن خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

انفاذ جيش أسامة

بدأ أبو بكر الصديق خلافته بإنفاذ جيش أسامة إلى الشام، حيث قتل والد أسامة -زيد بن حارثة - كما قتل جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة في المعركة السابقة، وقد حال موت النبي صلى الله عليه وسلم دون انفاذ الجيش، فأمر أبو بكر الصديق من كان في جيش أسامة فليخرج إلى معسكره بالجرف.

فلما تكامل الجيش بالجرف أرسل أسامة عمر بن الخطاب، وكان معه في جيشه- الى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس ليحمي المدينة من المرتدين، وقال الأنصار الذين في جيش أسامه لعمر فإن أبى أبو بكر رجوع الجيش، فاطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة.

ولما قدم عمر إلى أبي بكر وأخبره الخبر، قال لو خطفتني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر :فإن الأنصار تطلب رجلاً أقدم سناً من أسامة. فوثب أبو بكر وكان جالساً، وأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أعزله.

ثم خرج أبو بكر حتى أتى المعسكر وشيعّ الجيش وأسامة راكب وأبوبكر ماش فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن فقال والله لا نزلت ولا أركب، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له، وسبعمائة سيئة تمحى عنه.

وكان من وصايا أبي بكر لجيش: أسامة أوصيكم بعشر فاحفظوها علي تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الطفل، ولا الشيخ ولا المرأة، ولا تغرقوا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل. وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وإذا لقيتم أقواماً فحصوا أواسط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصايب فاخفقوهم بالسيف خفقا، فإذا غرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه وكلوا ثم أوصى أسامة أن يفعل ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

خرج جيش سامة يقطع البيد حتى وصل إلى مؤتة، فحارب قضاعة وأحلافهم وقضى على كل من وقفوا في وجه الاسلام، وانتقم بذلك لأبيه ولقتلى المسلمين في مؤتة، وأمن الحدود بين العرب والروم . ورجع أسامة الى المدينة بعد أربعين أو سبعين يوماً على خلاف بين المؤرخين ودخل أسامة المدينة تحيط به هالة من فخار النصر، وتجلى في تلك الحملة أصالة رأي أبي بكر الذي كان يداخله السرور كلما فكرفي إصراره على إنفاذ هذا الجيش على الرغم من معارضة الجميع له في ذلك.

نتائج حملة اسامة

١- انتقم المسلمون من قتلاهم في مؤتة.

٢- ردعت القبائل العربية التي كانت تفكر في الارتداد وقالت العرب لو لم تكن بهم قوة لما بعثوا هذا الجيش.

٣- عاد الأمان إلى مناطق الحدود الشمالية بين المسلمين والروم، وأعادت للإسلام هيبته في تلك البقاع.

المحاضرة الثالثة

حروب الردة

عناصر المحاضرة

- **ردة العرب.**
- **موقف المسلمين من مانعي الزكاة.**
- **قتال المرتدين**
- **حملة خالد بن الوليد.**
- **خالد ومسيلمة وموقعة عقرباء.**
- **نتائج موقعة عقرباء.**
- **فتنة البحرين .**

- **نتائج حروب الردة.**

ردة العرب

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ابتلي الإسلام بحركة الرده التي عمت الجزيرة العربية كلها ما عدا:المدينة ومكة والطائف، و يسهل علينا فهم هذا الحدث إذا أدركنا أن الاسلام لم ينتشر في أطراف الجزيرة العربية إلا بعد فتح مكة وهزيمة ثقيف، فأخذت وفود القبائل تفد إلى المدينة معلنة إسلامها في العام التاسع الهجري، والذي سُمي فيما بعد بعام الوفود، وحدثت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عام ١١هـ أي بعد عامين فقط من اسلامهم.

وهؤلاء الذين ارتدوا، قد دخلوا في الاسلام إما طمعا في غنيمة وإما تجنبا لمواجهة المسلمين وصار المرتدون فريقين إما خالع للإسلام جملة وتفصيلا، وإما مانع للزكاة.

بدأت الردة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم عندما ارتد الأسود العنسي في اليمن، وطلحة بن خويلد الأسدي في بني أسد، ومسيلمة الكذاب في اليمامة.

ولما قام الأسود العنسي بحركته وثب على نجران وطرد عاملها المسلم واستولى على صنعاء، وقتل عاملها شهر بن باذن،وتزوج بامرأته قسرا، ودخل أهل اليمن في طاعته رهبة أو رغبة.

وعندما وصلت أخبار الأسود العنسي لرسول الله كتب إلى المسلمين في اليمن أن يعملوا على قتل الأسود غيلة أومقاومة وتم قتل الأسود، وجاء خبر مقتله للمدينة في ليلة وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن أتباع الأسود العنسي عندما علموا بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتدوا ثانية، فأرسل إليهم أبو بكر الصديق جيشاً لقتالهم .

أما طلحة بن خويلد لما تنبأ، أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور عاملاً على بني أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طلحة حتى لم يبق إلا أخذه، فضربه بالسيف فأخطأه، فظن الناس أن السلاح لا يعمل فيه، فافتتنوا به وكثر جمعه، ومات النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

أما مسيلمة الكذاب فقد كان من الوافدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدنية في وفد من أهل اليمامة، وقال وهو في المدينة: إن جعل محمد الأمر لي من بعده تبعته، وأقبل عليه الرسول وفي يده قطعة من جريد وقال له: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها. ولن أتعدى أمر الله فيك، وان أدبرت ليعقرنك الله، ولما رجع مسيلمة الكذاب إلى اليمامة ادعى النبوة وقال: أنه أشرك مع محمد في الأمر،وتابعه قومه عصبية، وبلغ به الحد أنه كتب إلى رسول الله :(من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد فإني أشركت في الأمر،معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشا قوم لا يعدلون).

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم:(من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب: أما بعد فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين).

أسباب الردة

١- أن الايمان لم يتغلغل في نفوس كل العرب، فالمعروف أن الاسلام انتشر في كل الجزيرة العربية بعد فتح مكة وقتال ثقيف، وسمي العام التاسع للهجرة بعام الوفود لقدوم وفود القبائل معلنة إسلامها، وبعد عام الوفود بسنتين أي في السنة الحادية عشرة للهجرة توفي النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- ترفع كل قبيلة على أن تنقاد لقبيلة أخرى، وعندما انقادت القبائل العربية للرسول صلى الله عليه وسلم، فقد فعلوا ذلك لأنه مؤيد من السماء، أما بعد موته فقد خشيت القبائل أن تستأثر قريش بالسلطة، وقد رفضت معظم القبائل الدخول في سلطان أبي بكر ظنا منها أنه لن يقدر على ملء الفراغ الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرفها تيار الردة، وتتمثل هذه الحالة في البيتين التاليين للشاعر الحطيئة حينما قال:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبـي بكـر

أيورثها بكـراً إذا مـات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

٣- إن ما فرضه الاسلام من الزكاة على المسلمين اعتبرته بعض القبائل العربية التي لم يداخل الايمان قلوبها أتاوة، وعلى الرغم من أن الاسلام يعتبر الزكاة صدقة، إلا أن هذه القبائل أحست بالاذلال والتصاغر لأنها لم تتعود ذلك في حياتها القبلية.

٤- حاولت القبائل العربية -عن طريق الردة -أن تخرج من سلطان قريش،الذي استمر في الجاهلية زمناً طويلا، وجاء نبي الاسلام منها، وبعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدت الفرصة سانحة، يبدو هذا الأمر واضحاً في التفاف قبيلة أسد حول كذابهم طليحة، والتفاف حنيفة حول كذابهم مسيلمة، حتى لقد قال له طليحة النمري : (أشهد أنك لكاذب، وأن محمدا لصادق،ولكن كذاب ربيعه أحب إلينا من صادق مضر).

٥- من المرتدين من كان يسعى إلى استرجاع ملك، كبني ربيعة بالبحرين فإنهم أجمعوا على الردة وقالوا : (نرد الملك في المنذر بن النعمان بن المنذر، فملكوه) وقول سجاح بنت الحارث المتنبئة لمالك بن نويرة :(أنا امرأ ة من بني يربوع فإن كان ملك فهو لكم).

٦- رغبة بعض الأعراب الذين لم يتذوقوا حلاوة الايمان في التخلص من قيود الاسلام الخُلقية والعودة إلى حياة الجاهلية الأولى ليشبعوا رغباتهم من أمور قد حرمها الاسلام على معتنقيه.

٧- كانت هناك عوامل أجنبية لها أثرها، فقد كان للفرس والروم نفوذ على القبائل العربية المتاخمة لحدودهما، ولابد أنهم -لمناوأة الدين الجديد -قد قاموا بشتى أساليب الدعاية ضد هذا الدين وأوعزوا للقبائل الواقعة تحت سلطانهم بالارتداد عنه.

كان السواد الأعظم ممن أسلموا بعد الفتح من الأعراب الذين مردوا على النفاق، وكانت معرفتهم للإسلام معرفة سطحية، وقد ذكرهم الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية قال تعالى:(قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) وقال تعالى: (الاعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم).

وقد قيض الله لهذا الدين رجالاً صادقين قاموا باجتثاث أصول الفتنة وأعادوا إرساء قواعد دولة الإسلام الناشئة، وكان لحزم الخليفة أبي بكر ولقادته البواسل وللصحابة الأبرار دورهم في التعجيل بقطع دابر هذه الفتنة.

موقف المسلمين من مانعي الزكاة

كان المسلمون وعلى رأسهم عمر بن الخطاب يرون عدم مقاتلة مانعي الزكاة وأن يستعان بهم في قتال من خلعوا الدين جملة وتابعوا المتنبئين، واستندوا في رأيهم هذا على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه : (وأمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا

الله فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) فقال أبو بكر: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلا بحقها) ثم أضاف أبو بكر : (والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لمحمد لقاتلتهم عليه).

وصمم أبو بكر الصديق على قتال مانعي الزكاة وآزره المهاجرون والأنصار وعقد أبويكر الصديق أحد عشر لواءاً لأحد عشر أميرا، وأمرهم باستنفار كل من مروا به من المسلمين.

قتال المرتدين

بعد عودة أسامة بجيشه مظفراً تركه أبو بكر في المدينة ليستريح هو وجنده، وخرج أبو بكر بمن معه في المدينة لقتال المرتدين الذين أغاروا على المدينة في مضارب عبس وذبيان، فسار إليهم وهزمهم، وعاد إلى المدينة فوجد أن الجيش قد أخذ راحته، فقام بتوزيعهم لقتال المرتدين وكان توزيع الألوية كالآتي:

١- خالد بن الوليد لمحاربة طليحة بن خويلد الأسدي في بزاخة ... ثم مالك بن نويرة بالبطاح ، وهو ماء لبني أسد.

٢-عكرمة بن أبي جهل :وأمره بالسير نحو مسيلمة في اليمامة، ثم التوجه إلى دبا بعد الفراغ من اليمامة.

٣-المهاجر بن أبي أمية، لمحاربة أتباع الاسود العنسي، ثم يمضي إلى كنده بحضرموت.

٤-خالد بن سعيد بن العاص : سيره إلى مشارف الشام.

٥- عمرو بن العاص :أرسله إلى قضاعة ووديعة والحارث في شمال الحجاز.

٦-حذيفة بن محصن الغلفاني: وعهد إليه بأهل دبا، ثم الانضمام إلى عرفجة ابن هرثمة.

٧- عرفجة بن هرثمة :وكانت وجهته مهرة.

٨- شرحبيل بن حسنة: لمقاتلة مسيلمة مع عكرمة بن أبي جهل وبعدها يمضي الى قضاعة مدداً لعمرو بن العاص.

٩- طريفة بن حاجز: ووجهته بني سليم ومن معهم من هوازن.

١٠- سويد بن مقرن : ووجهته تهامة اليمن.

١١- العلاء بن الحضرمي : وأمره بالبحرين لمحاربة من ارتد بها من ربيعة.

توجه الأمراء لقتال المرتدين بعد أن زودهم الخليفة أبو بكر بكتاب وجهه للمرتدين يأمرهم فيه بالرجوع الى الاسلام ويحذرهم من الردة.

حملة خالد بن الوليد:

توجه خالد بن الوليد إلى بزاخة لمحاربة طليحة بن خويلد الأسدي وحلفائه من بني أسد وغطفان وانتهت المعركة بهزيمة طليحة وحلفائه، وفر طليحة مع امرأته إلى الشام، وأسلم حين بلغه أن قومه أسلموا واشترك في فتوحات فارس.

بقي خالد شهراً في بزاخة وفدت عليه خلاله قبائل نجد مؤدية ما عليها من الزكاة، ثم بلغ خالد أن فلول غطفان وطيء وسليم وهوازن، اجتمعوا الى (أم زمل سلمى بنت مالك) فحرضتهم على القتال، فزحف إليها خالد واشتبك معها وقضى على فتنتها.

ثم زحف خالد نحو البطاح وبها مالك بن نويرة، وعندما أدرك مالك أنه لا قبل له بجيش خالد أمر قومه بالتفرق في رؤوس الجبال، ونزل خالد بجنده في البطاح، ولما لم يجد بها أحداً أرسل جنوده ليأسروا من يجدوه، فأسروا مالكا وبعض قومه واختلفت الروايات في إسلام قومه، فمن قال أنهم أذنوا بأذان المسلمين ومن قال أنهم لم يؤذنوا، فأمر خالد بحبسهم حتى الصباح، ولما كان ذلك في ليلة باردة فقد نادى منادي خالد (دافئوا أسراكم) ومعنى ذلك في لغة كنانة القتل، ولما كان الحراس من بني كنانة فقد ظنوا أن خالداً أمر بقتلهم، فقتلوهم وسمع خالد الضجة فخرج وقد فرغوا منهم، فقال إذا أراد الله أمراً أصابه.

وهناك روايات أخرى تزعم أن خالداً دعا اليه مالكاً ليناضره حتى يتبين أمره حقيقة خاصة بعد أن عرف موقفه من المتنبئة سجاح، وبينما هما يتناظران راجع مالك خالد وقال: (ما أخال صاحبكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول كذا وكذا، فقال له خالد أو ما تعده لك صاحباً؟ فقدمه وضرب عنقه وعنق أصحابه.

لقد نُسجت القصص حول قتل خالد بن الوليد لمالك بن نويرة لأن خالداً بعد قتله لمالك وسبي قومه، اشترى زوجة مالك ليلى من السبي وتزوج بها مخالفاً بذلك تقاليد العرب من كراهة الزواج أيام الحروب لأنه مشغلة عن النهوض بالواجب ولكن خيال الرواة سرح بهم

للدرجة التي اتهموا فيها خالداً بأنه قتل مالكاً لكي يتزوج بامرأته، وهذا أبعد مما يظنون وقد جانبوا الحق في ذلك.

وقد عاتب أبو بكر الصديق خالد بن الوليد للشكوى التي وصلته من بعض الصحابة وفيهم أبوقتادة الأنصاري الذي أقسم ألا يكون في لواء خالد، فعاتب أبوبكر الصديق خالداً لأنه أخطأ في قتل بعض بني أسد دون أن يتأكد من ارتدادهم كما أخطأ في قتل مالك بن نويرة وقام بدفع دياتهم لأهلهم، وطلب عمر بن الخطاب من أبي بكر عزل خالد بن الوليد، إلا أن أبا بكر اكتفى بعتاب خالد وقال لعمر: (هبه يا عمر تأول فأخطأ) فارفع لسانك عن خالد، فإني لا أغمد سيفاً سله الله على الكافرين.

خالد ومسيلمة وموقعة عقرباء:

توجه خالد بعد ذلك إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب، وقد سبق أن سير أبوبكر عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنه لقتال مسيلمة وأمرهما بالاجتماع معا لقتاله، ولكن عكرمة تعجل واشتبك مع مسيلمة فهُزم، فكتب إليه أبوبكر يوبخه، وكتب إلى شرحبيل أن ينتظر قدوم خالد إلا أن شرحبيل تعجل كصاحبه فهُزم مثل هزيمته.

وصل المدد لجيش خالد من البدريين والذين كان أبو بكر الصديق يضن بهم وكان يقول : لا أستعمل أهل بدر، أدعهم حتى يلقوا الله بصالح أعمالهم، وإنما خالف الصديق ذلك لاستفحال أمر مسيلمة.

اشتبك المسلمون بقيادة خالد بن الوليد مع بني حنيفة بقيادة مسيلمة الكذاب في عقرباء، وكانت الحرب سجالا كان النصر في بدايتها للمرتدين إلا أن خالداً صاح في جنوده وسما الإيمان في قلوب المسلمين إلى ما فوق مراتب الحياة فرد المسلمون جيش المرتدين فانهزموا وولوا شطر الحديقة فتحصنوا بها، إلا أن المسلمين اقتحموا عليهم الحديقة وأفحشوا في قتلهم، وقُتل مسيلمة الكذاب، قتله وحشي قاتل حمزة، تكفيرا لقتله حمزة وقُتل من المرتدين في الحديقة وحدها ٧٠٠٠ والتي أسموها حديقة الموت، وقتل ٧٠٠٠ أخرى أثناء المعركة و ٧٠٠٠ في طلب الفلول، في حين لم يقتل من أهل المدينة سوى ٣٦٠ ، ومن المهاجرين ٦٠٠ أو أكثر، وذكر بعضهم **أن عدد من استشهد من المسلمين ١٧٠٠ وقيل ٧٠٠ وقيل ١٢٠٠وكان ذلك دافعا لأبي بكر الصديق لجمع القرآن الكريم.**

نتائج موقعة عقرباء:

بما أن الكثير من الحفظة استشهدوا في موقعة عقرباء، فقد قام أبو بكر الصديق بجمع القرآن الكريم وكتابته في مصحف وقد كان من قبل ذلك محفوظاً في الصدور، وقد كان مسيلمة الكذاب محط الأنظار في اليمن والبحرين وحضرموت وعمان، وبهزيمته انكسرت شوكة المقاومة في هذه البلاد وانصاعت لأمر الله، واطمأن الخليفة أبوبكر الصديق إلى مصير الاسلام.

فتنة البحرين :

ارتد أهل البحرين من بني بكر وغيرهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وملكوا عليهم المنذر بن النعمان، فجاءتهم كتائب المسلمين بقيادة العلاء بن الحضرمي واستمرت المناوشات بين المسلمين والمرتدين شهراً كاملا تمكن بعدها المسلمون من هزيمة المرتدين وسبي ذراريهم وأسرهم وكان المنذر بن النعمان ملكهم من جملة الاسرى، وهكذا انتهت فتنة البحرين.

نتائج حروب الردة:

١- ردعت كل من حدثته نفسه بالخروج عن الإسلام وسدت الطريق في وجه كل أثيم كذاب مدع للنبوة.

٢-دخل العرب في الاسلام طوعا أو كرها، وحمد الصحابة لأبي بكر رأيه وعرفوا فضله في قتال المرتدين.

٣-كانت حركة الردة تشكل أعظم خطر على الدولة الاسلامية ولو قُدر لها النجاح لأعادت العرب لجاهليتهم الأولى.

٤-كانت حروب الردة بمثابة مدرسة حربية تخرج منها المسلمون، كما برز فيها قادة إسلاميون كان لهم دورهم فيما بعد في الفتوحات الاسلامية.

٥- نتيجة لاستشهاد الكثيرين من حفظة القرآن الكريم فقد قام أبو بكر الصديق بمشورة عمر بن الخطاب بجمع القرآن الكريم في مصحف بعد أن كان محفوظا في الصدور.

٦- بقيت الردة عاراً على المرتدين وأقصاهم الخليفة أبو بكر عن الفتوحات الاسلامية في بداية الأمر، وعندما سُمح لهم في الاشتراك في القتال، قاتلوا بضراوة للتكفير عما بدر

منهم، وقد قاتل طليحة الأسدي ببسالة فى فتوحات العراق وفارس على الرغم من أنه كان متنبئا.

المحاضرة الرابعة

الفتوحات الاسلامية في عهد أبي بكر الصديق

عناصر المحاضرة

. العوامل المساعدة للفتوحات الاسلامية.

. فتح العراق وفارس.

. موقعة ذات السلاسل.

.موقعة المزار.

. موقعة الولجة.

. موقعة أليس.

. فتح الحيرة.

. فتح الأنبار.

. فتح دومة الجندل.

. موقعة الفراض.

الفتوحات الاسلامية

بعد الانتهاء من حروب الردة، فكر الخليفة أبوبكر الصديق في الفتوحات الاسلامية وبدأ بدولتي الفرس والروم، وقد كانت هناك عوامل مساعدة للفتوحات الاسلامية ساعدت المسلمين في تحقيق أهدافهم.

العوامل المساعدة للفتوحات الاسلامية:

ا- استطاع الدين الإسلامي أن يوحد العرب في الجزيرة العربية بعد أن كانوا قبائل شتى، وجعلهم يتطلعون إلى خارج الجزيرة العربية بعد أن كانوا منكمشين فيها لعدة قرون، وقد ضمن لهم الاسلام الظفر بإحدى الحسنيين: فإما نصر وغنيمة في الدنيا، وإما شهادة ونعيم في الآخرة.

٢- شاءت إرادة الله أن تكون الجزيرة العربية - موطن الرسالة المحمدية - قاحلة جدباء في معظمها، فجعلها ذلك مكان طرد سكاني ورغب المسلمون في الهجرة إلى خارجها في الفتوحات الاسلامية، وكانت البلاد المفتوحة: روما وفارس، والبلاد الواقعة تحت سيطرتهما: مصر والشام والعراق وفيرة الخيرات فأصبحت مكان جذب سكاني، وقد كان هذا عاملاً مساعداً للفتوحات الاسلامية.

٣- لقد اعتاد العرب في جاهليتهم على حب الإغارة والاقتتال، بحثاً عن الكلأ أو مورد الماء، كما كان للعلاقات الاجتماعية أثرها في ذلك، وعندما لا يجد العربي عدواً يغير عليه فإنه كان يغير على أقرب الأقربين إليه، وعلى حد قول الشاعر الجاهلي:

وأحيانا على بكر أخينا إذا لم نجد إلا أخانا

وقد أكسبت هذه الحروبات الجندي العربي خشونة وشجاعة وكفاءة قتالية، وعندما وجهوا للفتوحات الإسلامية أقبلوا عليها إقبالاً شديدا.

٤- رسوخ إيمان المسلمين جعلهم يقابلون أعداءهم بلا خوف ولا وجل، ويشعرون بالاستعلاء على الكافرين، "كُنتم خَير أمَةٍ أخرِجَتْ لِلناس تأمرون بالمَعْرُوفِ وتنهون عَنِ المنكَر وَتُؤمنونَ بِاللهَ" و أن الله ناصر هم ما كانوا على الحق "ان تنصُرُوا الله ينصركم ويثبت أقدامكم" وبهذه الروح انتصر المسلمون على أعدائهم على الرغم من تفوق الأعداء عليهم عدة وعتادا.

٥- بما أن المسلمين قاموا بنشر العدالة والمساواة والرحمة بين الشعوب المفتوحة فقد وقفت هذه الشعوب مساعدة للفاتحين المسلمين ليخلصوها من ظلم الفرس والروم.

٦- ضعف الدولتين البيزنطية والفارسية واضطراب الأحوال فيها كفل للمسلمين الانتصار عليهم، وعلى الرغم من ضخامة جيوشهم إلا أن جنودهم كانوا يساقون قسراً للحرب، بينما جنود المسلين كانوا يأتون بأرواح ومعنويات عالية.

الفتوحات فى عهد الخليفة أبى بكر:

أ- فتح العراق وفارس:

وجه الخليفة أبو بكر خالد بن الوليد إلى أرض الكوفة وفيها المثنى بن حارثة الشيباني، فسار إليها في المحرم سنة ١٢هـ وكان ذلك بعد قضائه على المرتدين في اليمامة. وأمر أبو بكر الصديق خالداً بأن يدخل العراق من أسفله كما أمر عياض بن غَنم أن يدخلها من أعلاها، ثم يستبقا إلى الحيرة فأيهما سبق على الحيرة فهو أمير صاحبه، كما كتب أبو بكر للمثنى بن حارثه يأمره ببذل الطاعة لخالد بن الوليد والانضمام إليه.

نزل خالد بقريات من العراق يقال لها: بانقيا وبارسوما وأليس فصالحه أهلها، فقبل منهم الجزية وكتب لهم كتابا وتعتبر هذه أول جزية وقعت بالعراق .

بعدها أرسل أبوبكر الصديق مدداً لخالد بن الوليد بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي وبوصول هذا المدد بلغ جيش خالد بن الوليد عشرة آلاف مقاتل، وانضم إليه المثنى بن حارثه بجيوشه التي بلغت ثمانية آلاف، وقسم خالد بن الوليد هذا الجيش إلى ثلاث فرق، يقود هو أحدها، ويقود الثاني عدي بن حاتم، و يقيود الثالثة المثنى بن حارثه وقصدت هذه الفرق الثلاث الحفير.

موقعة ذات السلاسل:

وصل خطاب من خالد بن الوليد إلى هرمز حاكم ثغر الأبلة، وفيه: " أما بعد، فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة، وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ".

علم هرمز أن المسلمين يعسكرون بالحفير، فسار إليهم وكان جنوده مقيدين بالسلاسل لكيلا يفروا، وطلب هرمز في بداية المعركة مبارزة خالد بن الوليد وترجلا وتضاربا بالسيف، فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد، وحملت حامية هرمز على خالد بن الوليد وغدرت، فما شغله ذلك عن قتله، وحمل القعقاع على حماة هرمز ونحاهم عن خالد، واشتدت رحى المعركة وانتصر المسلمون وانهزم الفرس وولوا الأدبار وطاردهم المسلمون حتى موقع البصرة الحالي، وعرفت تلك المعركة بذات السلاسل، لأن جنود الفرس كانوا مقرنين بالسلاسل حتى لا يفروا.

أرسل خالد بن الوليد البشرى والأخماس والغنائم الى الخليفة أبي بكر، وبعث بقلنسوة هرمز والتي بلغت قيمتها مائة ألف درهم، كما أرسل بفيل طيف به في المدينة، ودهش أهلها

لررؤيته ولم يكونوا رأوا فيلاً من قبل، وبلغ سهم الفارس في يوم ذات السلاسل ألف درهم، والراجل على الثلث من ذلك.

موقعة المزار:

أرسل امبراطور الفرس- أردشير- المدد إلى هرمز يقوده قارن، وعندما سمع قارن بهزيمة الفرس في ذات السلاسل ومقتل هرمز، عسكر في منطقة المزار و معه فلول الجيش الفارسي المنهزمة في موقعة ذات السلاسل.

وعندما علم خالد بنبأ جيش الفرس، خرج إليهم، والتحم الفريقان في معركة حامية الوطيس، وقتلت الفرس مقتلة عظيمة، ويقدر الطبري وابن الأثير عدد القتلى من جيش الفرس بثلاثين ألفاً.

موقعة الولجة:

قام امبراطور الفرس بالاستعانة بالعرب الذين يقعون تحت نفوذه في هذه المعركة، وتولى قيادة هؤلاء العرب الأندرزغر، كما أرسل امبراطور الفرس القائد بهمان على رأس جيش من الفرس.

ولما علم خالد بهذا الجمع، ترك حامية فيما فتحه من دلتا النهرين، وتقدم لقتالهم، وقسم جنوده إلى ثلاث فرق نازلهم خالد بفرقة من الأمام بعنف حتى كاد صبرهم ينفد، وبعد ذلك هاجمتهم الفرقتان من الخلف، فانهزم الفرس والعرب المُتنضَرة بعد أن قتل منهم كثيرون، وأعطى خالد الأمان للفلاحين فصاروا أهل ذمة.

موقعة أليس:

غضب نصارى العراق لمصرع إخوانهم بالولجة، فاجتمعوا في مكان يقال له أليس وكتبوا إلى ملك الفرس يطلبون معونته، وطلب ملك الفرس من القائد بهمان التوجه إليهم، إلا أنه أرسل من ينوب عنه، وآثر الذهاب إلى ملك الفرس ليطلعه على أمر المسلمة.

اشتبك المسلمون بقيادة خالد بن الوليد بالفرس والعرب المتنصرة، وأبدى فيه الأعداء نوعا من البسالة والاقدام، لأنهم كانوا يتوقعون قدوم بهمان بالمدد من الفرس، ولكن المسلمين حملوا عليهم حملة شعواء زلزلت أقدامهم وقتلوهم شرَّ قتلة وامتلأت أيدي المسلمين

بالأسرى، ومن كثرة ما قتل من الأعداء في هذه المعركة تغير لون النهر فسميت بمعركة نهر الدم، وقد بلغ تعداد القتلى من الأعداء سبعون ألفا.

فتح الحيرة:

بما أن القبائل المتنصرة واصلت تهديدها لخط الرجعة بالنسبة للمسلمين، فقد قرر خالد بن الوليد فتح الحيرة عاصمة تلك المنطقة، وقد كانت الحيرة عاصمة المناذرة والذين كانوا يدورون في فلك الفرس.

سار خالد لفتح الحيرة، وحمل الرجال والأثقال في السفن في نهر الفرات، وقام ابن مرزبان الحيرة ليعرقل زحف المسلمين بإرسال ماء النهر في قنوات فرعية، فرست سفن المسلمين على القاع، فتركها العرب إلى ظهور الخيل، وقبضوا على ابن المرزبان وقتلوه، ثم أطلقوا الماء إلى السفن وواصلوا زحفهم نحو الشمال .

وفي الوقت الذي تلقى فيه مرزبان الحيرة نبأ مصرع ولده جاءته الأنباء بوفاة كسرى، فتحطمت أعصابه ولاذ بالفرار، ولكن أهل الحيرة واصلوا تحصينها والدفاع عنها.

حاصر خالد الحيرة وصالحه أهلها على مائة ألف درهم، وقيل: على ثمانين ألفاً في كل عام على أن يكونوا عيوناً للمسلمين على أهل فارس، وأن لا يهدم لهم بيعة ولا قصراً ونزل خالد بقصر الخورنق.

وكان من نتائج فتح الحيرة أن قام الأمراء التابعون لها بتقديم فروض الولاء والطاعة للمسلمين.

فتح الأنبار:

تقع الأنبار غربي بغداد بنحو عشرة فراسخ، تقدم خالد وحاصرها بجيوشه، وقال لرماته:" إني أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب، فارموا عيونهم ولا توخوا غيرها "، فرموا رشقاً واحداً ثم تابعوا ففقىء ألف عين يومئذ، فسميت بوقعة ذات العيون وطلبوا الصلح على أن يخرج قائد جنودها شيرزاد في جريدة خيل ليس معهم شيء من المتاع والأموال.

أحرز خالد تلك الانتصارات وعياض بن غَنم الذي كلفه الخليفة أبوبكر بفتح العراق من أعلاها، ما زال محاصراً دومة الجندل، فكتب إليه خالد أقصر خطاب: (من خالد إلى عياض إياك أريد).

فتح دومة الجندل:

بما أن دومة الجندل تقع على الطريق إلى الشام، و كانت سوقاً للعرب الجاهلية، فقد اهتم بها المسلمون، وقد ارتد أهلها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكد أهلها يسمعون بمسير خالد حتى دبّ الرعب في قلوبهم، وقال لهم أكيدر أحد رؤسائهم: (أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائراً منه، أطيعوني وصالحوا القوم) ولما أبوا عليه خرج عنهم، ولكن خالد أسره وقتله لارتداده.

بعد وصول خالد إلى دومة الجندل حاصرها الجيشان، جيش خالد وجيش عياض، وبدأ القتال الذي لم يستمر طويلاً، وفتح الحصن عنوة.

موقعة الفراض:

حاول الفرس استرداد ما انتزعه خالد لوجود خالد على أطراف البادية، إلا أن خالداً اصطدم بهم وانتصر عليهم وتَعقبهم إلى الفراض، فتحالف الفرس والروم مع متنصرة العرب، ولما بلغوا الفرات قالوا لخالد: إما أن تعبر لنا أو نعبر لكم، فطلب منهم خالد العبور اليهم، ثم دارت معركة عنيفة انتهت بهزيمة الرومان والفرس ومتنصرة العرب، وأكثر المسلمون في القتل وبلغ من قُتل في هذه المعركة وفي الطلب مائة ألف حسب رواية جمع المؤرخين، وأقام خالد في الفراض عشرة أيام، ورجع إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة لعام اثنتي عشرة للهجرة.

بعدها رحل خالد عن العراق بعد أن قضى فيه ثلاثة عشر شهراً اقتطع فيه من بلاد العجم حوض الفرات من الأبلة جنوباً إلى الفراض شمالاً، وعلى الرغم من أن خالداً كان شديد الوطأة على المقاتلين، إلا أنه كان رحيماً بالفلاحين.

المحاضرة الخامسة

الفتوحات الاسلامية في بلاد الشام

عناصر المحاضرة

- فتح الشام.

- تسيير الجيوش.

- مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام.

- معركة اليرموك.

ب- فتح الشام:

لما قدم الخليفة أبوبكر الصديق من الحج عام ١٢هـ خطب في المسلمين في المسجد النبوي، فقال لهم: "... اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عوّل أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه.. ألا وإني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهليهم ومالهم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنبأني بذلك قبل موته، وقال:" زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها"، فما قولكم في ذلك؟ فقال عمر بن الخطّاب: (ألا والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه، وقد والله أردت لقاءك بهذا الرأي لذي ذكرت..) ثم أضاف عمر: (ابعث الرجال تتبعها الرجال، والجنود تتبعها الجنود، فإن الله عز وجل ناصر دينه، ومقر الإسلام وأهله ومنجز ما وعد رسوله) وقال عثمان بن عفان: (أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين، فان رأيت رأياً فيه لهم رشد وصلاح

وخير فاعزم على إمضائه، فإنك غير ضنين ولا متهم عليهم)، وأقر الحاضرون جميعاً رأي عثمان، وزادوا عليه: (ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك).

ففرح أبوبكر الصديق، ونزل عن المنبر وكتب الكتب، إلى ملوك اليمن وأهل مكة وإلى القبائل العربية جميعها، وكان رسوله إلى اليمن: أنس بن مالك، وبعد مدة جاءه يبشره بقدوم أهل اليمن، وقال لأبي بكر الصديق: يا خليفة رسول الله ما قرأت كتابك على أحد إلا وبادر إلى الطاعة، وأجاب دعوتك، وقد أجابوك شعثاً غبرا، وساروا اليك بالذراري والأموال والنساء والأطفال فسُر أبوبكر سروراً عظيماً.

أقامت المدينة استقبالاً حافلا لأهل اليمن الذين قدموا للجهاد، ونشرت الأعلام وخرجت المدينة عن بكرة أبيها تستقبلهم، وكانت أول القبائل ظهورا من وفد اليمن قبيلة حمير، وهم بالدروع والسيوف الهندية وأمامهم ذو الكلاع الحميري ينشد بعض الأبيات الشعرية الحماسية.

ثم تتابعت قبائل اليمن في هذا الاستعراض العظيم، وتتابعت القبائل العربية ملبية لدعوة الخليفة أبي بكر، ونصب لهم معسكراً خارج المدينة بالجرف.

تسيير الجيوش:

لما تكاملت الجيوش وفرغت من أهبتها، عقد أبوبكر الصديق الألوية لفتح الشام، فكانت أربعة ألوية وولى عليها الأمراء، وبَيَّن لكل أمير وجهته، والأمراء هم:

١- أبو عبيدة بن الجراح، ووجهته حمص.
٢- عمرو بن العاص ووجهته فلسطين.
٣- يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق.
٤- شرحبيل بن حسنة ووجهته وادي الأردن.

وكلما عقد أبوبكر لواء لأمير كان يزوده بالوصايا، فأوصاهم بتقوى الله، ومشاورة جنودهم والرفق بهم والتواضع وعدم قتل الشيوخ والأطفال والنساء وأمرهم أن يعاون بعضهم بعضاً.

ومن وصاياه ليزيد بن أبي سفيان: (واني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وان أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله، فإنه يرى من باطنك مثل

الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد.....

و اياك وعيبة الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير، وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل محادثتهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، و لا ترينهم فيروا خللك، ويعلموا عملك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فأصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تخفي عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسرها لقربها من النهار، ولا تخفف من عقوبة المستخلف، ولا تبطىء فيها، و لا تسرع إليها، ولا تخذلها مدفعا، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس أسرارهم، واكتف بعلانيتهم ولا تجالس العابثين، وجالس أهل الصدق والوفاء، وأصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يُقرب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له).

وهذه الوصية تؤكد لنا علم أبي بكر وحصافته، وحسن إدارته لأمور الدولة وفهمه لتعاليم الإسلام، وتستحق أن تكون منهجاً ودستوراً يسير عليه ولاة الأمور و قادة الجيوش.

توجه كل قائد من قادة الجيوش الوجهة التي وجهها له أبوبكر الصديق، والذي كان عالماً بطرق الشام وبلادها، ويبدو أن هذه المعلومات قد جمعها من أسفاره للشام أيام تجارته.

عمل عمرو بن العاص بوصية أبي بكر له، وسار في طريق إيلياء حتى وصل إلى فلسطين ونزل (العربة)، فلما علم هرقل بوصول كتائب المسلمين أراد أن يشغل كل طائفة منهم بطائفة من جنده الكثيف ليضعف من قوتهم، فأرسل إلى عمرو أخاه تذراق، فخرج نحوهم في تسعين ألفا، وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنه، وبعث الفيقار في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة، فهابهم المسلمون، و جميع فرق المسلمين واحداً وعشرين ألفاً سوى عكرمة في

ستة آلاف، ففزعوا جميعاً بالكتب والرسل إلى عمرو، وسألوه رأيه في الأمر، فكاتبهم وراسلهم: إن الرأي الاجتماع، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قله، وكتب القادة لأبي بكر، فكان رد أبي بكر مثل رد عمرو، فقال لهم اجتمعوا فتكونوا عسكراً واحداً، وألقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين، فإنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف إذا أوتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل كل رجل منكم بأصحابه.

وكتب هرقل الى بطارقته: أن اجتمعوا لهم وأنزلوا بالروم منزلاً واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب، ففعلوا فنزلوا الواقوصة، وهي ضفة على اليرموك وصار الوادي خندقاً لهم، وهي فرجة بين جبلين لا تدرك، وإنما أراد باهان وأصحابه أن يثبت الروم ويأنسوا بالمسلمين، وترجع إليهم أفئدتهم عن طيرتها.

ونزل المسلمون على طريق الروم، وليس للروم طريق إلا عليهم، فقال عمرو: أبشروا حصرت الروم، وقل ما جاء محصور بخير، وأقاموا صفراً وشهري ربيع لا يقدرون منهم على شيء من الوادي والخندق ولا تخرج خرجة إلا أغار عليهم المسلمون.

<u>مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام:</u>

لما رأى المسلمون مطاولة الروم، كتبوا إلى أبي بكر الصديق، فنظر أبوبكر الصديق في أمرهم، ورأى أنه لا يستطيع أن يخرجهم من رتابة هذا الحصار وينتزع النصر من الروم انتزاعاً غير خالد بن الوليد، فكتب إليه بالعراق يأمره بالمسير إلى الشام، وأن يأخذ نصف الجيش ويترك النصف الثاني للمثنى بن حارثة.

وسار خالد نحو الشام، فلما صار إلى عين التمر لقي رابطة لكسرى عليهم عقبة بن أبي الهلال النمري فضرب عنقه، ثم سار حتى لقي جمعاً لبني تغلب عليهم الهزيل بن عمران فضرب عنقه، وسبى منهم سبياً كثيراً بعث بهم إلى المدينة، وصار إلى الأنبار، فأخذ دليلاً يدله على طريق المفازة، فمر بتدمر فتحصن فأحاط بهم ففتحوا له وصالحهم، ثم مضى إلى حوران، فقاتلهم قتالاً شديداً، وقيل: ان خالداً سار في البرية والمفازة ثمانية أيام حتى وافاهم.

والطريق الذي سلكه خالد بجيوشه من العراق إلى الشام هو أقصر الطرق ولكنه أخطرها، وقد تعرض هو وجنوده لمعاناة جمة من قلة المياه، ولكن خالداً الذي عودنا على الجرأة والإقدام لم يكن بهياب للموت في سبيل نجدة المسلمين ونصرتهم.

اختلفت الروايات في عدد جنود خالد بن الوليد، فابن الأثير يروي الأرقام التالية على الرغم من التباعد بينها: (٨٠٠، ٦٠٠، ٥٠٠. ٩٠٠٠، ٦٠٠٠) ويشير الطبري إلى أن عدد جنود خالد عشرة آلاف، وهو الأقرب للصحة لأن أبا بكر الصديق طلب من خالد بن الوليد أن يقسم جيش العراق إلى نصفين فيترك نصفه مع المثنى بن حارثة ويأخذ النصف الثاني، وكان تعداد جيش العراق ثمانية عشر ألفاً.

لقد **كان عدد جيش المسلمين بالشام ستة وأربعين ألفاً**، وكان قتالهم على التساند كل جند وأميره لا يجمعهم أحد، حتى قدم عليهم خالد من العراق. وعندما قدم خالد، قدم مدد للروم بقيادة باهان، ففرح المسلمون بمدد خالد كما فرح الروم بمدد باهان، وقدم باهان قدامه الشماسة والرهبان والقسيسين، **وكان تعداد جيش الروم: أربعون ومائتا ألف، وكان منهم أربعون ألف فى السلاسل حتى لا يفروا من الزحف.**

لما خرج الروم للقتال، أراد المسلمون الخروج متساندين فسار فيهم خالد بن الوليد، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:(إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده، وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبته) قالوا: فهات الرأي:
قال: (إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر، ولو علم بالذي كان ويكون لجمعكم. إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم، وأنفع للمشركين من إمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم فالله الله، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود، ولا يزيده عليه إن كانوا له. إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهلموا فإن هؤلاء تهيئوا، وهذا يوم له ما بعده، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم، وأن هزمونا لم نفلح بعدها، فهلموا فلنتعاون الامارة، فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم، ودعوني إليكم اليوم فأمروه) .

فخرجت الروم في تعبئة لم ير الرَّاؤون مثلها قط، وخرج المسلمون في تعبئة لم تعرفها العرب من قبل ذلك، فخرجوا في ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين، وجعل خالد على الميمنة: عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان، وجعل أبا عبيدة في القلب، وكان القاضي: أبو الدرداء، وكان القارىء: المقداد، وهو الذي قرأ لهم سورة الأنفال، التي كانت تقرأ عند لقاء العدو حسب سنة الرسول صلى الله عليه وسلم،

وكان القاص أبوسفيان بن حرب وعلى الطلائع قباث بن أثيم، وعلى الأقباض عبدالله بن مسعود.

بدأ القتال، وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقفهم إلى المحامية، وعليهم عكرمة بن أبي جهل، فقال عكرمة:(قاتلت مع النبي صلى الله عليه وسلم في كل مو طن تم أفر اليوم) ثم نادى: (من يبايع على الموت؟) فبايعه: الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا أمام فسطاط خالد، فقتل منهم من قتل، وجرح منهم من جرح، وتقاتل خالد وقائد القلب في جيش الروم قتالا شديداً، فقتله خالد، ثم نهد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم، فانهزم الفرسان وتركوا الرجالة.

ولما رأى المسلمون فرسان الروم يحاولون الهرب أفرجوا لهم، فتفرقوا و قتلوا الرجالة واقتحموا خندقهم، بقيادة خالد، وتقدم عمرو إلى الواقوصة حتى هوى فيها المقرنون بالسلاسل وغيرهم، **وبلغ قتلى الروم في هذه المعركة مائة وعشرون ألفاً، واستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف.**

وكان سهم الفارس في موقعة اليرموك ألفاً وخمسمائة، وقد قاتلت النساء في هذه الموقعة قتالا شديداً، وكانت منهم جويريه بنت أبى سفيان.

وفي أثناء معركة اليرموك جاء نعي أبي بكر الصديق وتولية عمر بن الخطاب الخلافة وعزل خالد بن الوليد من القيادة، ويقال: ان الرسالة تلقاها خالد وأبقاها سراً حتى لا تؤثر على معنويات المسلمين في القتال، وهناك رأي آخر يقول بأن الرسالة استلمها أبوعبيدة، ولم يخبر خالداً بأن عمر بن الخطاب عزله حتى انتهت معركة اليرموك.

وكما انتصر خالد بن الوليد على عدوه، فقد انتصر على نفسه فقبل أن يقاتل جنديا قي جيش أبي عبيدة بنفس الحماس الذي كان يقاتل به وهو قائد جيوش المسلمين. وانطلاقاً من شدة حرص الصديق رضي الله عنه على وحدة الأمة وخشيته عليها أن يصيبها التفكك من بعده رأى أن يوصي لمن يلي بعده أمر المسلمين، ومن ثم كان عهده للفاروق بأن يقوم على تدبير مصالح الرعية من بعده.

يروي الواقدي أن أبا بكر لما ثقل دعا عبدالرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبوبكر: وإن، فقال عبدالرحمن بن عوف هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرني

عن عمر، فقال: أنت أخبرنا به. فقال علي ذلك، فقال: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله، وشار معهما سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير، وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: اعلمه الخير بعدك، يرضى للرضا ويسخط للسخط، الذي يُسر خير من الذي يعلن ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه.

ونستنتج من ذلك أن أبا بكر الصديق كان يشاور صحابته في الأمور كما كان يهتم بالأنصار اهتمامه بالمهاجرين، وأنه لم يعهد لعمر بن الخطاب إلا بعد أن استشار عدول أمته فيه.

وتحققت فطنة الصديق في اختيار عمر بن الخطاب، وأيده العلماء في ذلك حين قالوا أن أبا بكر كان أفرس ثلاثة حين استخلف عمر.

وقد ترك أبو بكر الصديق رضي الله عنه عهد عمر مكتوبا وموثوقاً بخاتمه، وكان نص العهد الذي حرره عثمان بن عفان رضي الله عنه كما يلي:
(بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما عهد به أبوبكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة، داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

فارق **أبوبكر الصديق** الأمة الاسلامية بعد أن **حقق رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج بالإسلام خارج نطاق الجزيرة العربية**، وسار في منهجه على سنة ر سول الله صلى الله عليه وسلم، **وتولى له القضاء عمر بن الخطاب**، **وتولى له الجزاء أبوعبيدة بن الجراح**، **وكان كاتباه: زيد بن ثابت، وعثمان بن عفان**. وأما عماله فهم: عتاب بن أسيد على مكة المكرمة، وعثمان بن أبي العاصي على الطائف، والمهاجر بن أمية على صنعاء، وزياد بن لبيد على حضرموت، ويعلى بن أميه على خولان، وأبو موسى الأشعري على زبيد ، ومعاذ بن جبل على الجند، والعلاء بن الحضرمي على البحرين، وجرير بن عبدالله على نجران، وعبدالله بن ثور على جرش.

المحاضرة السادسة

الخليفة عمر بن الخطاب

١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٤م

عناصر المحاضرة

- **التعريف بعمر رضي الله عنه**
- **اسلام عمر.**
- **بيعته ومنهاجه في الحكم.**
- **الفتوحات في العراق وفارس.**
- **موقعة الجسر.**
- **موقعة البويب.**

التعريف بعمر رضي الله عنه:

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي كعب، وأمه حنثمه بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولد عمر رضي الله عنه لثلاث عشرة سنة بعد عام الفيل، نشأ في بيئة صالحة، وكان مثالاً في الفصاحة والبلاغة والصراحة في الحق، وكان في صغره يرعى الغنم لأبيه، ثم احترف التجارة.

كان في بني عدي قوم عمر وظيفة السفارة التي أنشأها قصي بن كلاب، وانتهت الوظيفة قبل مجيء الإسلام إلى عمر بن الخطاب ، فكان آخر سفير لقريش.

اسلام عمر:

خرج عمر بن الخطاب يوماً متوشحاً سيفه فلقيه نعيم بن عبد الله النحام وكان مسلماً فقال لعمر إلى أين؟ فأجابه عمر: انني أريد محمداً ذلك الذي سفه ديننا وسب آلهتنا فأقتله بهذا السيف. فقال له نعيم لقد غرتك نفسك بنفسك يا عمر، أو ترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ ارجع وأصلح أهلك. فقال له عمر وأي أهلي؟ فقال له نعيم أختك فاطمة وزوجها سعيد، فقد والله أسلما وتابعا محمداً.

رجع عمر إلى بيت أخته، وكان معهما خباب بن الأرت يعلمهما القرآن من صحيفة فيها سورة طه، فلما سمعوا صوت عمر اختبأ خباب في مخدع وخبأت فاطمة الصحيفة فدخل عمر وقال ما هذه الهينمة؟ قالوا: ليس هناك شيئاً. فقال لهم والله لقد تابعتما محمداً، وفتك بزوج أخته سعيد، وجاءت فاطمة تدافع عن زوجها فضربها عمر وشج وجهها حتى سال الدم عليه، فقالت له أخته: والله قد أسلمنا فافعل ما بدا لك . فرق قلب عمر عندما رأى الدم يسيل على وجه أخته، وقال لها أعطيني الصحيفة أنظر ما بها، فقالت له أخته نخشاك عليها، فقال لها لا تخافي، فطمعت أخته في إسلامه فقالت له انك نجس وعليك أن تغتسل قبل أن تقرأها. ففعل وأعطته الصحيفة وكان فيها سورة طه فقرأ فيها وكان قارئاً، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام .

وعندما سمع خباب ذلك خرج وقال: الله الله يا عمر، والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام، وآمل أن تكون دعوته قد أصابتك، فقال عمر لخباب: دلني على مكان رسول الله لأسلم فدله عليه، فذهب إلى دار الأرقم وأعلن إسلامه .

وكان في إسلام عمر بن الخطاب إعزاز لدين الله فقد جهر المسلمون بعبادتهم بعد أن كانوا يؤدونها في الخفاء، وما كانوا يجهرون بصلاتهم إلا بعد إسلام عمر .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما علمت أحداً من المهجرين هاجر إلا متخفياً إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همَّ بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهماً ومضى إلى الكعبة فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم أتى المقام متمكناً، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم: شاهت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس. من أراد أن تثكله أمه ويتيم ولده وترمل زوجته فليلحق بي وراء هذا الوادي. فقال علي: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين نصحهم وأرشدهم ومضى لوجهه.

اشترك عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل الغزوات وكان هو وأبو بكر وزيريه، وكان عمر بن الخطاب من الملهمين، يرى الرأي ويشير به فينزل القرآن موافقاً لما أشار به، حتى لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لقد كان فيمن قبلكم محدثون ملهمون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر " وموافقات عمر كثيرة ذكر معظمها ابن الجوزي، وأوصلها بعضهم إلى عشرين.

كان لعمر بن الخطاب دوره في بيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة، **وكان مستشار أبي بكر في خلافته، كما كان قاضيه.**

بيعته ومنهاجه في الحكم:

عهد أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب بالخلافة كما أسلفنا، ولما تولاها صعد المنبر وخطب في الناس خطبة موجزة فقال: "إني قائل كلمات فأمنوا عليهن، إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده. وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق" .

كان عمر رضي الله عنه شديد التحري للعدل، يجهد نفسه ومن ومعه لإيصال الحقوق إلى أصحابها، واسمعوا قوله: " ما وجدت صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث: أداء الأمانة، والأخذ بالقوة، والحكم بما أنزل الله، وصلاح المال في ثلاث: أن يؤخذ من حق، ويعطى في حق، ويمنع من باطل" .

وعاهد الناس وقال: " لكم علي ألا أجتني شيئاً من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم علي إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم علي أن أزيد عطاياكم

وأرزاقكم إن شاء الله وأسدد ثغوركم ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك .. وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله عن أمركم " .

ولم يكن الخليفة عمر يبيح من مال المسلمين أجرا بعمله إلا ما يقيم أوده وأود أهله عند الحاجة إليه، فإن رزقه الله مايغنيه عن بيت مال كف يده عنه يقول مخاطباً رعيته: ".. ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله، بمنزلة ولي اليتيم، إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف" .

أما العمال فقد كان يختارهم عمر من الأمناء الزهاد المعروفين بإيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة والمشهود لهم بالتعفف عن أموال المسلمين، وقد حرم الهدايا على عماله، وقبل أن يولي الولاة كان يحصي ما في أيديهم من أموال فإذا زادت بعد ولايتهم صادر الزائد منها حيطة وحذرا منه، فقد شاطر خيار الصحابة وأبطال الفتوح الإسلامية دون أن يعترض منهم معترض ومنهم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد .

فلما ظهر غنى عمرو بن العاص عامله في مصر كتب إليه: "بلغني أنه قد فشت لك فاشية من ناطق وصامت لم تكن لك حين وليت مصر" وأجاب عمرو بن العاص يعتذر برخص الأسعار في مصر رخصاً يوفر له معظم راتبه، فيتجر بما يفيض عنه، ولم يقبل الخليفة عمر ذلك القول، فكتب إلى عمرو بن العاص بألا يضيع وقته في غير رعاية المحكومين وبأن يسلم شطر ماله لمحمد بن مسلمه.

الفتوحات في عهد عمر:

أولاً : في العراق وفارس :

تولى قيادة المسلمين في العراق بعد رحيل خالد المثنى بن حارثة الشيباني، وتوقع المثنى أن يحاول الفرس استرداد ما سلبه منهم المسلمين، فذهب إلى المدينة يطلب المدد، ووجد أبو بكر على فراش الموت وأوصى أبو بكر عمر ليرسل له مدداً فسير إليه عمر بن الخطاب بعد ولايته أبا عبيد بن مسعود الثقفي في حين أوصاه بقوله: "اسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأشركهم في الأمر، ولا تجيبن مسرعاً حتى تتبين، فإنها الحرب والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف" .

أما الفرس فقد أسندوا أمرهم إلى أميرة من البيت الساساني وجعلت رستم قائداً لقوادها.
وصل أبو عبيد إلى العراق واشتبك مع الفرس وانتصرعليهم في كسكر وأجلى الفرس عن كل الأماكن التي تقدموا إليها.

موقعة الجسر:

ساءت أنباء هزائم الفرس رستم، فأرسل جيشاً لقتال المسلمين بقيادة بهمن جاذوية ونزل بهمن بجنوده بقس الناطق، وأقبل المسلمون بقيادة أبي عبيد ونزلوا بالمروحة ونصب جسراً على الفرات وخير بهمن المسلمين بعبور الجسر إليهم أو عبور الفرس إليهم، فاستشار أبو عبيد المسلمين فأشاروا عليه بالبقاء وأن يعبر إليهم الفرس ولكن أبا عبيد خالف مشورتهم وقال: لا يكونوا أجرأ منا على الموت، وعبر المسلمون الجسر واقتتلوا ولكن خيول المسلمين نفرت من الفيلة فترجل أبو عبيد وترجل المسلمون وبدأوا يقطعون وضن الفيلة فسقطت رجالها، وقفل من كان عليها. ولكن فيلاً وطأ أبا عبيد فأثر ذلك على معنويات المسلمين، وتوالى سبعة من ثقيف يحملون اللواء ويسقطون شهداء، فلما رأى عبد الله بن

مرشد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاؤه بادر إلى الجسر وقطعه، وقال: يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا، وحاذ المشركون المسلمين إلى الجسر فتواثب بعضهم إلى الفرات فغرق الكثيرون وحمى المثنى بن حارثة ظهور المسلمين وقام المسلمون بربط الجسر وعبروا إلى الضفة الثانية وكان المثنى مثخناً بجراحه.

وترجع **هزيمة المسلمين في هذه المعركة (الجسر) لمخالفة القائد لمشورة جنوده، واجتهاد عبد الله بن مرشد الثقفي في قطع الجسر دون مشورة القائد.**

قدرت المصادر ما فقده المسلمون في موقعة الجسر بأربعة آلاف بين قتيل وغريق، وكان عدد قتلى الفرس ستة آلاف وكانت **هذه أول هزيمة للمسلمين أمام الفرس** .

موقعة البويب:

كتب المثنى بن حارثة إلى عمر بن الخطاب ينبئه بهزيمة المسلمين في موقعة الجسر، فاستنفر عمر المسلمين وأرسلهم بقيادة جرير بن عبد الله البجلي. وعندما وصل مدد المسلمين سار بهم المثنى إلى الحيرة، وعندما علمت بوران ملكة فارس بالخبر أعدت جيشا مؤلفاً من اثني عشر ألف مقاتل وجعلت قائدهم مهران، والتقى الجيشان في مكان يدعى البويب، وتكرر نفس مشهد يوم الجسر حيث طلب مهران من المسلمين العبور إليه أو يعبر

إليهم، ولكن المثنى طلب عبور الفرس، فقدم الفرس تتقدمـهم الفيلة، وطلب المثنـى من جنوده أن يهجموا بعد التكبيرة الرابعة، فلما كبر خالط المسلمون الفرس وأبلوا بلاءً حسناً **وانـهزم الفرس وقتل قائدهم مهران، وسميت المعركة بيوم الأعشار لأن كل مسلم قتل يومـها عشرة من الفرس.**

المحاضرة السابعة

فتوحات العراق في عهد عمر بن الخطاب

عناصر المحاضرة

- **موقعة القادسية ١٤ هـ.**
- **فتح المدائن.**
- **موقعة جلولاء.**
- **فتح تكريت والموصل.**

•تمصير الكوفة والبصرة.
•فتح الأهواز.
•موقعة نهاوند أو فتح الفتوح.

موقعة القادسية ١٤هـ:

نتيجة للهزائم المتكررة فقد اضطر الفرس إلى إسناد السلطة إلى إمبراطور جديد، فنصبوا يزد جرد الثالث وكان ابن إحدى وعشرين سنة وقاد جيش الفرس رستم.
أعلن عمر بن الخطاب التعبئة العامة في المدينة وكتب إلى أبي عبيدة في الشام ليمدده بمدد من عنده، وأرسل عمر بن الخطاب المدد من المدينة بقيادة سعد بن أبي وقاص وكان عدد جنوده أربعة آلاف، وقبل وصول جيوش سعد توفي المثنى بن حارثة متأثراً بجراحه.
كتب الخليفة عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص بأن ينزل بالمسلمين في القادسية، وقال له: انها باب فارس في الجاهلية، ووافق رأي عمر بن الخطاب وصية المثنى بن حارثة لسعد بن أبي وقاص فترحم سعد على المثنى وتزوج بزوجته ونزل سعد بن أبي وقاص بالمسلمين في القادسية، وأقام بها شهراً وتكامل جيش المسلمين حتى وصل إلى ثلاثين ألفاً.
أمر إمبراطور الفرس قائده رستم بالتوجه لملاقاة المسلمين في جيش تعداده مائة وعشرون ألفاً، ومعهم ثلاثون فيلا فأقام بين الحيرة والسيلحين أربعة أشهر، وترددت الرسل بين الفريقين.
أرسل سعد بن أبي وقاص المغيرة بن شعبة إلى رستم فدعاه إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب، فلم يجبه وظن الفرس أن العرب إنما خرجوا وما أخرجهم إلا الجوع وضيق العيش.
اشتبك المسلمون والفرس في قتال مرير ولكن فيلة الفرس أخافت خيول المسلمين، واشتد الأمر على قبيلة بجيلة، فأعانهم سعد بن أبي وقاص ببني أسد وأظهر طليحة بن خويلد الأسدي، ضروباً من البسالة والإقدام في ذلك اليوم، وعمل رجال تميم إلى قطع أوضان الفيلة، ولما خلت الفيلة من راكبيها شردت فتنفس المسلمون الصعداء وعرف اليوم الأول بيوم أرماث.
وفي اليوم التالي وصل المدد لجيش المسلمين بقيادة هاشم بن عتبة وكان يتقدمهم

القعقاع بن عمرو وعددهم عشرة آلاف، فقويت بهم فلول المسلمين وسمى ذلك اليوم بيوم أغواث لقدوم الغوث فيه للمسلمين، وبدأت المبارزة بين الفرس والمسلمين وقتل القعقاع قائدين من قادة الفرس مما فت من عضدهم، كما لجأ القعقاع إلى حيلة لطيفة حين جلل الإبل وجعل عليها البراقع وأركبها عشرة عشرة وحملها على خيل الفرس فنفرت منها، ولقيت منها ما لقيته خيول المسلمين من فيلتهم في اليوم الأول، وحمي الوطيس وتمكن المسلمون في هذا اليوم من الانتصار على الفرس.

ثم أصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم بين الصفين من المسلمين ألف جريح وقتيل ومن المشركين عشرة آلاف، فدفن المسلمون موتاهم وأسلموا الجرحى إلى النساء ووكلوا النساء والصبيان بحفر القبور.

وفي اليوم الثالث عادت الفيلة الى الظهور وبدأت تبطش بجند المسلمين، ولكن المسلمين قاموا بقطع مشافرها وفقأوا عيونها، فنفرت الفيلة واشتبك الفرس والمسلمون وأشرقت شمس اليوم التالي ولم ينفصل الجمعان، وهزم المسلمون جناحي الفرس، واشتدت وطأتهم على القلب، وانتهى القعقاع ومن معه إلى سرير رستم إلا أنهم لم يجدوه. ولكن هلال بن علبه تمكن من قتل رستم واجتز رأسه وحمله ونادى قتلت رستم فانهزم قلب المشركين.

كبر المسلمون لذلك النداء وانهزم الفرس بعد مقتل قائدهم. وتعتبر موقعة القادسية من المواقع الفاصلة في التاريخ الإسلامي، فقد وجه إليها الفرس كل ما تستطيعه أمة الفرس من جنود ومعدات، ولم تقم لهم قائمة بعدها.

أقام سعد بالقادسية شهرين، ثم تقدم نحو الحيرة حسب أوامر الخليفة عمر، وقام بإعادة فتحها ثم تقدم إلى المدائن.

فتح المدائن:

عندما علم الفرس بتقدم المسلمين نحو المدائن، هرب إمبراطورهم يزدجر إلى حلوان مع وجوه قومه، وأحرقوا الجسر الذي يربط المدينتين الغربية و الشرقية ورفعوا السفن والمعابر إلى الضفة الشرقية، وتمكن المسلمون عن طريق مخاضة دلهم عليها أهل البلاد من عبور نهر دجلة وأرغموا أصحاب السفن على حمل أثقالهم إلى الضفة الشرقية، ودخل المسلمون المدائن واستولوا على إيوان كسرى بعد أن انسحب من المدينة جنود الفرس، وجعل سعد إيوان كسرى مسجداً وصلى به أول جمعة في صفر سنة١٦هـ .

وأصاب المسلمون من المدائن نفائس لا حصر لها، وكان نصيب الفارس اثني عشر ألف

قطعة من نقود الفرس، وكان أكثر المسلمين فرساناً لأنهم ركبوا ما غنموه في معركة القادسية من الخيل، وقسم دور المدائن بين المسلمين بعد أن جلا عنها سكانها واتخذها المسلمون قاعدة لأعمالهم الحربية في العراق.

موقعة جلولاء:

وفي أثناء إقامة المسلمين بالمدائن بلغهم أن يزدجر حشد جيشاً ضخماً في جلولاء، ويريد به مهاجمة المسلمين فوجهه سعد إليهم هاشم بن عتبة في اثني عشر ألفاً، وعندما وصلهم وجدهم قد تخندقوا وتعاهدوا على الثبات حتى الموت وكانت الإمدادات تصل إليهم من حلوان والجبال، فعجل المسلمون بمهاجمتهم وانتصروا عليهم، وقد حدثت موقعة جلولاء عام ١٦هـ .

فتح تكريت والموصل:

تقع تكريت على الضفة اليمنى لنهر دجلة، وتقع الموصل في شمال شرقي الجزيرة اتجه المسلمون إلى الإستيلاء على ما بتلك النواحي من القرى والمدن ليأمنوا غارات الروم وزادهم رغبة في ذلك عندما علموا أن ملك الموصل قد جمع كثيرا من الفرس والعرب والروم وأنه عسكر بهم في تكريت.

سير إليهم سعد خمسة آلف جندي بقيادة عبد الله المعتم، ولما علم عبد الله بقدومه اعتصموا بحصونهم فحاصرهم المسلمون أربعين يوماً، تمكن ابن المعتم أثناءها من اجتذاب العرب من صفوف الأعداء، وطلب منهم ابن المعتم أن يكبروا إذا سمعوا تكبير المسلمين، ولما حدث ذلك أثناء الهجوم، ظن المحاصرون أن المسلمينقد جاؤوهم من الخلف، فاستبقوا إلى أبواب الحصن يريدون الخروج فقابلهم المسلمون بسيوفهم فحصدوهم، وسقط الحصن في أيدي المسلمين.

سار ابن المعتم بعد ذلك مع حلفائه الجدد إلى نينوى فاستولى عليها، ثم إلى الموصل ففتحها ودانت بتلك الجهود جميع الأقاليم الواقعة فيما بين دجلة والفرات من المدائن إلى الموصل، وأتت بالطاعة للمسلمين .

تمصير الكوفة والبصرة:

بعد أن اتخذ المسلمون المدائن عاصمة لهم لا حظ عمر بن الخطاب تغيراً في وجوه من نزلوها من العرب وضعفاً في أبدانهم فكتب إلى سعد بن أبي وقاص يسأله في ذلك فرد

عليه سعدا: إن الذي غيرهم وخومة البلاد، وإن العرب لا يوافقهم إلا ما وافق إبلها من البلدان، فكتب إليه عمر: أن ابعث سلمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر، وأرسلهما سعد حتى إذا أتيا أرض الكوفة أعجبهما الموقع فصليا فيه ودعوا الله أن يجعله منزل خير للمسلمين، وكتب سعد إلى الخليفة عمر بذلك فوافقهما على اختيار الموقع .

فارتحل سعد من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة ١٧ هـ وبنى بيوتها من القصب وخير الجنود بين السكن في المدائن أو السكن في الكوفة، ولما استقر المسلمون بالكوفة رجعت إليهم صحتهم .

أما البصرة فقد تم تمصيرها بعد أن أرسل عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان لإعادة فتح ثغر الأبلة وليحمي ظهر المسلمين من الفرس، ثم سار بعد فتحه للأبله حتى نزل موقع البصرة وهي إذ ذاك حجارة سود وحصى، ولذلك سميت بالبصرة ثم تولى أبو موسى الأشعري بأمر الخليفة عمر ببناء مدينة البصرة، ووزع الخطط بين الناس.

تم تمصير الكوفة والبصرة في عام واحد، وحلت الكوفة محل الحيرة، وحلت البصرة محل الأبله وقد قسم العراق بعد ذلك إلى قسمين: أعلى وقاعدته الكوفة وأميره سعد بن أبي وقاص، وأدنى قاعدته البصرة وأميره أبو موسى الأشعري، ونتيجة لحريق في الكوفة والبصرة فقد سمح لهم عمر بن الخطاب ببناء البيوت باللبن.

فتح الأهواز:

عندما انهزم الفرس في القادسية، فر الهرمزان، - أحد قادتهم - إلى الأهواز وتحصن بها، فوجه سعد بن أبي وقاص المدد لعتبة بن غزوان بقيادة سلمى بن اليقين وحرملة بن مريطه، فنزل أحدهم على مناذر والآخر على نهر تيرى فنصرهما الله، فلما علما الهرمزان بذلك تصدى لهما فهزمه المسلمون، وأقام الهرمزان بالأهواز واصطدم به المسلمون في الأهواز وهزموه، وكانت هذه الموقعة في عام ١٧ هـ .

موقعة نهاوند أو فتح الفتوح:

فر يزدجر - إمبراطور الفرس - من حلوان إلى أصبهان عام ١٩ هـ، ومن هناك وجه رسله في كل البلاد يطلب منهم المسير إليه وجمع جموعاً كثيفة قدرت بين ستين ألفا ومائة ألف فلما بلغ الخليفة عمر بن الخطاب ذلك سير إليهم جيشاً من ثلاثين ألف مقاتل من الكوفة

والبصرة والحجاز وأمَّر عليهم النعمان بن مقرن، والتقى الجيشان على مقربة من نهاوند، كان النصر حليف المسلمين فتقدم الفرس إلى نهاوند واجتمعوا بالخنادق، فتظاهر المسلمون بالانسحاب فخرج الفرس يتبعونهم فكر عليهم كرة أفقدتهم صوابهم، وانتصر عليهم المسلمون انتصاراً ساحقاً، وكان النعمان بن مقرن قد استشهد في المعركة فتولى القيادة عوضاً عنه حذيفة بن اليمان الذي حاصر الفرس في الحصن، ولم يلبث أصحاب الحصن أن صالحوا المسلمين بالأمان وفر يزدجر إلى مرو وظل بها حتى قتل.

وتعتبر موقعة نهاوند خاتمة المعارك الفاصلة في تاريخ الفتح الإسلامي لفارس ولذلك سميت بفتح الفتوح، وبعد تلك المعركة أمر عمر بن الخطاب الجيوش الإسلامية بالإنسياح في بلاد الفرس وامتد النفوذ الإسلامي إلى بلاد السند، وحدثت هذه الموقعة في عام ٢١ هـ.

المحاضرة الثامنة

فتوحات الشام ومصر

عناصر المحاضرة

أولا: الفتوحات في بلاد الشام:

- **فتح دمشق.**
- **فتح فحل.**
- **فتح مدن الشام الشمالية.**
- **موقعة أجنادين وفتح بيت المقدس.**

ثانياً: فتح مصر:

- **فتح العريش والفرما**
- **فتح بلبيس وأم دنين**

أولاً: الفتوحات في بلاد الشام :

فتح دمشق:

بعد معركة اليرموك انهار سلطان الروم وانحازت فلول الروم بقيادة باهان إلى فحل، كما أن مداد بيزنطيا أتى أهل دمشق وحمص ولم يدر أبوعبيده بأيهما يبدأ بدمشق أو بفحل فكتب إلى الخليفة عمر يستشيره، فأشار عليه بأن يبدأ بدمشق لأنها قاعدتهم بالشام، وأن يرسل جنوداً يقفون بإزاء فحل حتى لا تتقدم فرقها لتدعيم دمشق، ونفذ أبو عبيدة ما أمر به عمر فسار إلى دمشق وحاصرها بجيوشه بعد أن أصبح هو قائد القواد بأمر الخليفة عمر.

جعل أبو عبيدة خالداً على باب دمشق الشرقي بقواته وأنزل عمرا باب توما وأنزل شرحبيل علــى باب الفراديس، ووضـع يزيد علــى الباب الصغير وبقــي أبوعبيده محاصرا المدينة من باب الجابية.

لقد كان خالد بن الوليد يقظاً لا ينام الليل فعلم أن أهل دمشق مشغولين باحتفالات في إحدى الليالي، فصنع سلالم من الحبال، واستطاع بعض جنوده تسور السور عن طريقها، وفتحوا الباب الشرقي ودخلت فرقته، وعندما أدرك الروم أن المدينة فتحت عنوة أسرعوا إلى أبي عبيدة وبادروا إلى مصالحته وفتحوا له باب الجابية، ولم يكن أبو عبيدة يدري عن فتح خالد للمدينة عنوة ولكن أبا عبيده أمر خالداً بالكف عن أهل دمشق، وأجرى ما فتح عنوة مجرى ما فتح صلحاً، ثم استخلف على دمشق يزيد بن أبي سفيان وكلفه بالاستيلاء على الأقاليم التي تجاورها ففتح صيدا وبيروت.

فتح فحل:

سار أبو عبيدة إلى فحل بعد فتح دمشق وكان بها ثمانون ألفا من جيوش الروم، وقام الرومان بتفجير المياه حول المدينة فكونت أوحالاً وقصدوا بذلك إعاقة تقدم المسلمين، ولكن المسلمين أحكموا حصارهم، فخرج الروم من ثغرة في الحصن ليلا ليفاجئوا المسلمين ولكن المسلمين كانوا لهم بالمرصاد واشتبكوا معهم في موقعة رهيبة ولما شعر الرومان بالهزيمة فكروا في العودة ولكنهم ضلوا طريق الثغرة فساقهم المسلمون للوحل فتردوا فيه وأصبح الوحل الذي كرهه المسلمون معيناً لهم على النصر.

فتح مدن الشام الشمالية:

تقدم أبو عبيدة بجيوشه وحاصر حمص وكان البرد قارسا، ولم يسلم أهلها المدينة ظناً منهم أن المسلمين سيضطرهم البرد للتقهقر ولكن المسلمين صبروا ورابطوا وأفرغ الله عليهم الصبر وأعقبهم النصر، ويروي الطبري عن أشياخ من غسان وبلقين أن المسلمين كبروا تكبيرة زلزلت معها الروم في المدينة وتصدعت الحيطان، ففزعوا إلى رؤسائهم يدعونهم إلى المسالمة فلم يجيبوهم فكبر المسلمون التكبيرة الثانية فتهافتت منها دور كثيرة وحيطان ففزعوا إلى رؤسائهم فقالوا: ألا ترون عذاب الله فأجابوهم إلى صلح المسلمين، وصالحهم المسلمون على صلح دمشق.

وانتقل هرقل إلى القسطنطينية فخلا شمال الشام لأبي عبيدة وفتح كل الأقاليم الشمالية، وعندما خرج هرقل عن سوريا ودعها قائلاً : "عليك السلام يا سوريا سلاماً لا اجتماع بعده ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً" .

موقعة أجنادين وفتح بيت المقدس:

بينما كان أبو عبيدة في شمال الشام كان عمرو بن العاص يفتح فلسطين، والتقى بالقائد الروماني أرطبون في أجنادين وبعد معركة شديدة الوطأة تمكن المسلمون من إحراز النصر ضد الروم، واستولى عمرو بن العاص على يافا، ونابلس، وعسقلان، واللد، والرملة، وغزة، وقام عمرو بن العاص بحصار بيت المقدس وقدم عليه أبو عبيدة بن الجراح واشترط صفرونيوس بطريرك بيت المقدس حضور عمر بن الخطاب ليسلمه المدينة فكتب أبو عبيدة للخليفة بذلك فحضر الخليفة عمر بن الخطاب وتسلم مفاتيح مدينة بيت المقدس من البطريق صفرونيوس وكتب لهم عمر صلحاً هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم ، وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايليا معهم أحد من اليهود وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية، كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون حتى يبلغوا مأمنهم. ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمسة عشرة.

وفي هذا العهد الذي أعطاه عمر بن الخطاب لبطريق بيت المقدس لشاهد على سماحة الإسلام وتقديره لحرية الأديان والذي مازال محفوظاً إلى اليوم ويعتبر من أقدم العهود في التاريخ.

ثانياً: فتح مصر :

لما قدم عمر بن الخطاب الجابية قام إليه عمرو بن العاص وقال: يا أمير المؤمنين، ائذن لي أن أسير إلى مصر، وحرضه عليها وقال: إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم، وهي أكثر الأرض أموالاً وأعجزها عن القتال والحرب.

فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين، وكره ذلك، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب، ويخبرهم بحالها، ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر، فعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك ويقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة.

وقال له عمر: سر وأنا مستخير الله في سيرك، وسيأتيك كتابي سريعاً إن شاء الله، فإن أدركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره .

فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس، واستخار عمر الله ، فكأنه تخوف على المسلمين في وجههم ذلك، فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين.

فأدرك الكتاب عمرو وهو برفح، فتخوف عمرو بن العاص إن هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل أنها من مصر، فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين وقال عمرو لمن معه ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر؟

قالوا : بلى

قال : فإن أمير المؤمنين عهد إلي وأمرني، إن لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر، أن أرجع ، ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر، فسيروا وأمضوا على بركة الله.

ويروي ابن الحكم الذي يعد من أهم المصادر التي كتبت بتفصيل عن فتح العرب لمصر – رواية أخرى عن فتح مصر، يقول فيها: أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر حينما كان عمر في المدينة، ودخل عثمان بن عفان على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد كتابة خطابه هذا إلى عمرو بن العاص، فقال عثمان لعمر: يا أمير المؤمنين، ان عمرو لجريء، وفيه إقدام وحب للإمارة، وأخشى أن يخرج في غير ثقة وجماعة، فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدري تكون أم لا.

فندم عمر بن الخطاب على كتابه إلى عمرو إشفاقاً مما قال عثمان، فكتب إليه ، إن أدركك كتابي قبل أن تدخل مصر، فارجع إلى موضعك، وإن كنت دخلت فامض لوجهك.

فتح العريش والفرما:

تقدم عمرو بن العاص نحو مصر مخترقا الشريط الساحلي إلى العريش ومنها إلى الفرما، وفي الفرما قاتل الروم المسلمين قتالاً شديداً نحوا من شهر ثم فتحها الله على يديه.

فتح بلبيس وأم دنين:

وبعد الفرما تحرك عمرو بن العاص إلى بلبيس فقاتل الروم شهراً حتى فتحها الله عليه ومضى إلى أم دنين، وحاصرها وأبطأ عليه الفتح فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب منه المدد فأرسل إليه الخليفة عمر اثني عشر ألفاً بقيادة الزبير بن العوام، بينما يورد ابن عبد الحكم أن عدد المدد الذي أرسله عمر بقيادة الزبير هو أربعة آلاف فقط، **واستطاع عمرو بن العاص أن يهزم أهل مصر في أم دنين بعد أن أرسل فرقة من خمسمائة فارس داهمتهم من الخلف بقيادة خارجة بن حذافة** .

تقدم عمرو بن العاص بعد فتح أم دنين حتى نزل على حصن بابليون وقد تجمع الرومان في هذا الحصن، وكان الحصن من المناعة والحصانة بحيث يصعب اقتحام أسوارها، وكان يحميه النيل من ناحية الغرب، ومحاط بخندق دائم المياه من ناحية الجنوب.

قام عمرو بن العاص بحصار الحصن ولما استعصى عليه الفتح، كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب منه المدد، **فأمده بأربعة آلاف رجل، على كل ألف منهم رجل، وكتب إليه عمر بن الخطاب: إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف منهم رجل مقام الألف، الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد،** وقال عمرو بن الخطاب: إن معك اثني عشر ألفاً، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة.

ولما طال الحصار على المقوقس حاكم مصر من قبل الرومان أخذ يفاوض عمرو بن العاص في شروط الصلح، فعرض عليه المسلمون أن يختار واحدة من ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو القتال، فاختار الجزية مكرها، وكتب إلى الإمبراطور الروماني لأخذ رأيه غير أن الإمبراطور طلب حضور المقوقس إلى القسطنطينية ليتفاوض معه، ولما سافر المقوقس أنبه الإمبراطور ولامه على تقصيره وعزله عن مصر، فواصل المسلمون حربهم ضد الرومان في مصر، **وتمكن الزبير بن العوام من صنع سلالم استطاع عن طريقها هو ومعه مجموعة من المسلمين من تسور السور وكبروا تكبيرة وكبر معهم المسلمون في الخارج، فظن الرومان أن الحصن قد سقط ففر الحراس، وتمكن الزبير بن العوام من افتتاح باب الحصن، ولكن الرومان أسرعوا بمصالحة عمرو بن العاص وسقط الحصن في يد المسلمين .**

وقد وردت رواية أخرى عند ابن عبد الحكم لفتح الحصن، تقول أن المقوقس أرسل رسلاً لعمرو بن العاص فأخرهم عنده يومين حتى خاف المقوقس أن يكون قد قتلهم، وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين، فلما عادت رسل المقوقس إليه قال لهم: كيف رأيتموهم ؟

قالوا: رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليه من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب ،

وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد منهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم. فقال عند ذلك المقوقس: لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل، لم يجيبونا بعد اليوم إذ أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم.

بعد ذلك طلب المقوقس من عمرو بن العاص، أن يرسل إليه رسلاً من عنده حتى يتفاوض معهم على الصلح، فأرسل إليه عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت وأمره أن يكون متكلم القوم، وكان عبادة بن الصامت أسوداً.

فلما ركبوا السفن إلى المقوقس، ودخلوا عليه تقدم عبادة، فهابه المقوقس لسواده، فقال: نحوا عني هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني فقالوا جميعا: إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا، قال المقوقس: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم؟ قالوا إنه وإن كان أسود فإنه أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً وليس ينكر السواد فينا.

تقدم عبادة بعد ذلك وقال:

" قد سمعت مقالتك، وإن فيما خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سواداً مني، وأفظع منظراً، ولو رأيتهم لكنت اهيب لهأم منك لي، وأنا قد وليت وأدبر شبابي، وإني مع ذلك وبحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً، وكذلك أصحابي ... إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله، وما يبالي أحدنا من الدنيا، أكان له قنطاراً من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يسد بها جوعته لليله ونهاره، وشمله يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة

الله، واقتصر على هذا الذي بيده، ويبلغه ما كان في الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه .

فلما سمع المقوقس ذلك ، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره، وإن قوله لأهيب عندي من منظره إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها.

بعدها استشار المقوقس أصحابه فرفضوا الشروط الثلاث التي عرضها عبادة، وقد نصحهم المقوقس أن يقبلوا الجزية ، فقالوا: الموت أهون علينا من أن نكون عبيداً لهم.

ولكن بعدما تمكن المسلمون من فتح الحصن، قبل الأقباط بالجزية بعد نصيحة المقوقس لهم، فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس شريفهم و وضيعهم من بلغ الحلم منهم، ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء، وعلى أن للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف من المسلمين كانت له ضيافة ثلاثة أيام، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يفرض لهم في شيء منها.

فشرط هذا كله على القبط خاصة، وأحصوا عدد القبط يومئذ، فكان جميع من أحصي يومئذ بمصر أكثر من ستة آلاف ألف (٦٠٠٠٠٠٠) (ستة مليون نسمة) فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار (١٢،٠٠٠،٠٠٠) (اثني عشر مليون) في كل سنة.

ويعد فتح المسلمين لمصر علامة بارزة من علامات الفتح الإسلامي، فقد تمكن المسلمون بجيش تعداده أربعة آلاف - في بداية الفتح قبل وصول الإمدادات - من فتح مصر وبها مائة ألف جندي روماني، ونستنتج من ذلك أن النصر في أي موقعة لا يتم بكثرة عدد الجنود، أو بقوة العتاد، وإنما بقدر إيمان المحاربين بعقيدتهم والجهاد في سبيلها، وببذل الغالي والنفيس في سبيل اقامة العدل والحق وإعلاء كلمة الله {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم} .

المحاضرة التاسعة

خلافة عثمان بن عفان

٢٣-٣٥هـ

عناصر المحاضرة

- **أولاً: استشهاد الفاروق عمر رضي الله عنه.**
- **ثانياً: خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.**

١- التعريف بعثمان بن عفان.

٢- توليه الخلافة.

٣- أول قضية نظر فيها عثمان.

ثالثاً: الفتوحات في عهد عثمان.

١- فتح أرمينية.

٢- الفتوحات في أفريقية.

٣- فتح بلاد النوبة.

أولاً: استشهاد الفاروق عمر رضي الله عنه:

كان عمر رضي الله عنه لا يسمح لمشرك بلغ الحلم بدخول المدينة، لما انطوت عليه قلوب هؤلاء من حنق على المسلمين، وما زال كذلك حتى كتب المغيرة بن شعبة عامله في الكوفة – يطلب منه السماح لغلام له يدعى أبا لؤلؤة فيروز بالإقامة في المدينة لينتفع

المسلمون بما كان يتقنه من الصناعات فقد كان يجيد الحدادة، والنجارة، والنقاشة، وتحت إلحاح المغيرة بن شعبة أذن له عمر، بعد أن فرض عليه سيده درهمين في اليوم.

خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف في السوق، فلقيه أبا لؤلؤة، فقال: يا أمير المؤمنين أعني على المغيرة بن شعبة، فإن علي خراجاً كثيراً، قال: كم خراجك

قال: درهمان في كل يوم، قال: وأيش صناعتك؟ قال: نجار، نقاش، حداد، قال: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال، قد بلغني أنك تقول: لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح لفعلت، قال نعم، قال فاعمل لي رحا، قال لئن سلمت لأعملن لك رحا يتحدث بها من بالمشرق والمغرب، ثم انصرف عنه، فقال عمر: لقد توعدني العبد آنفا.

ولما كان في الغد جاء كعب الأحبار إلى عمر فقال له: يا أمير المؤمنين اعهد، فإنك ميت في ثلاثة أيام، قال: وما يدريك؟ قال أجده في التوراة، قال عمر: الله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال اللهم لا، ولكني أجد صفتك وحليتك وإنه قد فنى أجلك، وكان عمر بن الخطاب لا يحس وجعاً ولا ألماً – فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار، فقال: يا أمير المؤمنين، ذهب يوم وبقي يومان، ثم جاءه بعد غد، فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة، وهي لك إلى صبيحتها.

وفي الصباح خرج عمر إلى الصلاة، وبعد أن استوت الصفوف كبر عمر، فدخل أبو لؤلؤة يحمل في يده خنجراً له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات، إحداهن تحت سرته، وهي التي قتلته، وقدم عمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس وحمل إلى داره، ونادى عمر عبد الرحمن بن عوف وقال له: ادع لي عليا وعثمان والزبير وسعدا – النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض – وانتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فإذا جاء وإلا فاقضوا أمركم، ثم قال: أنشدك الله يا علي أن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس، أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل أقاربك على رقاب الناس، قوموا فتشاوروا ثم أقضوا أمركم، وليصل بالناس صهيب.

وأوصى عمر بن الخطاب ابنه عبد الله أن يرجح الكفة التي فيها عبد الرحمن بن عوف إن اختلف مجلس الشورى، وطلب الاذن من السيدة عائشة أن تسمح له بأن يدفن مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر، ودخل عليه المهاجرون والأنصار يسلمون عليه، ودخل كعب الأحبار فلما نظر إليه عمر قال:

فأوعدني كعب ثلاثاً أعدها ولا شك أن القول ما قاله كعب

وما بي حذاء الموت إني لميت ولكن حذاء الذنب يتبعه الذنب

وهكذا أسدل الستار على حياة الفاروق عمر رضي الله عنه وأرضاه، والمتتبع لقصة اغتياله ليدرك أن في الأمر تدبيرا.

رحم الله عمر بن الخطاب رحمة واسعة وجزاه الله كل خير فيما قدم للأمة الإسلامية من أعمال جليلة.

ثانياً: خلافة عثمان بن عفان:

١- التعريف بعثمان بن عفان :

هو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه أروى بنت كريز، أسلم بدعوة من أبي بكر الصديق، ولما أسلم أخذه عمه الحكم بن أبي العاص فأوثقه رباطا وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين، فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه.

هاجر عثمان بن عفان إلى الحبشة فرارا بدينه وكانت معه زوجته رقية بنت رسول الله، كما هاجر إلى المدينة، واشترك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل الغزوات ما عدا غزوة بدر لأنه كان يمارض زوجته رقية وقد أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي يوم انتصار بدر ماتت رقية، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمه في بدر، وزوجه من ابنته الأخرى أم كلثوم، وقد سمي بذي النورين لزواجه من بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشتهر بالفقه والحياء والكرم.

وقد استعان الرسول صلى الله عليه وسلم بعثمان بن عفان في كثير من شئون المسلمين، وكان سفيره لقريش في السنة السادسة للهجرة حينما حالت قريش دون دخول المسلمين إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، ومما يؤكد حب قريش لعثمان وتقديرها له تم اختياره لهذه

المهمة من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحينما تأخر عثمان في مكة شاع نبأ مقتله فبايع المسلمون الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان في الحديبية.

بذل عثمان بن عفان كثيرا من ماله في سبيل الإسلام وقد أعد جيش العسرة لغزوة تبوك، ويقال أنه أنفق فيها ألف دينار وحمل على تسعمائة بعير ومائة فرس، وجهز ركابا، واشترى بئر أرومه بعشرين ألف درهم، وأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من اشترى بئر أرومه فله الجنة، كما بشر عثمان بن عفان بالجنة، وهو من العشرة المبشرين بالجنة.

٢- توليه الخلافة:

عهد عمر بن الخطاب قبل وفاته إلى ستة، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم: عثمان وعلي وعبد الرحمن والزبير وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، وطلب منهم أن يتشاوروا، وأن يولوا أحدهم في ظرف ثلاثة أيام، وإذا تعادلت الأصوات أن يرجح عبد الله بن عمر إحدى الكفتين، وأن يرجح الجناح الذي فيه عبد الرحمن بن عوف. اجتمع مجلس الشورى لاختيار الخليفة الجديد، وتعادلت الأصوات، فسألهم عبد الرحمن بن عوف أن يخرج نفسه من الخلافة على أن يختار منهم رجلاً فوافقوه وأعطوه مواثيقهم، وطلب منه علي أن يعطيه موثقا ليؤثر به الحق، ولا يتبع الهوى، ولا يخص ذا رحم لرحمه، ولا يألوا الامة ، فأعطاه ...موثقاً، وأخذ عبد الرحمن

يستشير الصحابة وعندما انقضت الأيام الثلاثة دعا الى اجتماع في المسجد، وخلا بعلي بن أبي طالب، وقال له: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله، وسنة نبينه، وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت، فخلا بعثمان، فقال له: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله، وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر، فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه، وسيرة أبي بكر وعمر، فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال: اللهم اشهد أني قد جعلت ما في عنقي من ذلك في عنق عثمان، فبايعه الناس.

٣- أول قضيه نظر فيها عثمان:

روى عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنه رأى الهرمزان، وأبا لؤلؤة وجفينة يتناجون قبل مقتل عمر بن الخطاب، ولما دنا منهم قاموا فسقط بينهم خنجر تنطبق أوصافة على الخنجر الذي طعن به عمر، ولما سمع عبيد الله بن عمر بمقالة عبد الرحمن بن أبي بكر، سل سيفه وقتل جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة، وقام صهيب القائم مقام الخليفة عمر – فقبض على عبيد الله بن عمر وسجنه.

ولما بويع عثمان دعا عبيد الله وقال: (أشيروا عليّ في هذا الذي فتق الإسلام ما فتق) فأشار عليّ بقتله، فقال بعض الناس: (قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم ؟). فقال عثمان أنا وليهم، وقد جعلتها دية واحتملتها في مالي، وقد روى الطبري أن عثمان رضي الله عنه مكَّن ابن الهرمزان من عبيد الله مختارا فعفا عنه.

ثالثاً: الفتوحات في عهد عثمان:

١- فتح أرمينية:

كتب عثمان بن عفان إلى معاوية عامله على الشام والجزيرة وثغورها، يأمره أن يوجه حبيب بن مسلمة الفهري إلى أرمينة، فنهض إليها في ستة آلاف وقيل في ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيرة فأتى قاليقلا، وقاتل أهلها قتالا شديدا وأرغمهم على التحصن في مدينتهم، فطلبوا الأمان على الجلاء والجزية، فجلا كثيراً منهم فلحقوا ببلاد الروم، وأقام حبيب بها شهرا.

بعدها قام بطريق أرمنياقس بجمع الجموع من أهل اللان والخزر، فكتب حبيب إلى عثمان يسأله المدد، كما كتب إلى معاوية أن يمده بأقوام ممن يرغبون في الجهاد والغنيمة، فسير إليه معاوية ألفي رجل أسكنهم حبيب قاليقلا وأقطعهم بها القطائع وجعلهم مرابطة بها، ولما ورد كتاب حبيب إلى عثمان، كتب إلى سعيد بن العاصي عامله على الكوفة – يأمره بإمداد بجيش عليه سلمان الباهلي، فسار سلمان في ستة آلاف رجل من أهل الكوفة، وأقبل الروم ومن معهم فنزلوا على الفرات، وقد أبطأ على حبيب المدد فتمكن من مباغتة الروم وقتل قائدهم فانهزموا.

وواصل حبيب فتوحاته في أرمينية، واستولى على دبيل وصالح بطريقها على إتاوة يؤديها له وعلى معاونة المسلمين على أعدائهم، ثم فتح النشوى وصالح أهلها كما فتح جزران وتفليس، وصالحهم جميعا على مثل صلح دبيل.

وأعان سلمان الباهلى حبيبا فى فتوحات أرمينية إلا أن سلمان الباهلى اشتبك مع خاقان الخزر خلف نهر البلنجر فقتل رحمه الله في أربعة آلاف من المسلمين، فكتب حبيب إلى الخليفة عثمان بفتوحات أرمينية وبنعي سلمان الباهلي، واستشهاد سلمان الباهلي مع أربعة آلاف من جند المسلمين يؤكد لنا التضحيات الجسيمة التي قدمها المسلمون في سبيل إعلاء كلمة الله.

٢- الفتوحات في أفريقية:

استطاع عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب أن يؤمن حدود مصر بفتح برقة صلحا سنة ٢١هـ، وبفتح طرابلس عنوة سنة ٢٢هـ، كما بعث نافع بن عبد القيس إلى بلاد النوبة فقاتل أهلها قتالا شديدا.

ولما تولى عبد الله بن سعد بن أبي السرح ولاية مصر عام ٢٧هـ استأذن الخليفة عثمان في فتح أفريقية فأذن له بعد أن استشار الصحابة وأرسل له جيشا فيه كبار الصحابة من أمثال عبد الله بن الزبير والحسن والحسين.

سار عبد الله بن سعد بن أبي السرح بالجيش إلى أفريقية وقد وصل عدده إلى عشرين ألفا مع جيوش مصر، واستخلف عقبة بن عامر الجهني في مصر، وعندما وصل الجيش إلى برقة أرسل عبد الله بن سعد سرية تقدمت الجيش إلى طرابلس، ولكن أهلها تحصنوا داخل أسوارهم، فواصل المسلمون السير الى أفريقية وبعث السرايا في كل وجه فأتوه بالغنائم، والتقى جيش الروم بقيادة جريجوريوس فى مائة ألف بجيوش المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد فى عشرين ألف مقاتل، وكانت طريقة عبد الله بن سعد في القتال أن يقاتل الروم كل يوم، ثم يدعهم يلجأون للراحة، ويواصل قتالهم في اليوم التالي، فأشار عليه عبد الله بن الزبير أن يقسم جيش المسلمين إلى نصفين، يقاتل بالنصف الأول طول النهار فإذا أرهق الروم وذهبوا للراحة فاجأهم النصف الثاني من جيش المسلمين وهم مرهقين وعلى غير أهبة واستعداد للحرب، ونجحت خطة عبد الله بن الزبير الذي تمكن من قتل قائدهم فانهزموا، ولما رأى رؤساء المدائن في أفريقية انتصار عبد الله بن أبي السرح طلبوا منه أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار من ذهب على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك.

٣- فتح بلاد النوبة:

بدأ فتح بلاد النوبة فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب وولاية عمرو بن العاص على مصر، وقد استعصى فتحها على المسلمين لأنهم كانوا يرمون بالنبل وكانوا ماهرين في الرماية، وكما تذكر المصادر أنهم في موقعة واحدة فقط فقأوا مائة وخمسين عينا، لذا فضل المسلمون الصلح معهم، ولكن عمرو بن العاص رفض ذلك لم يقبل بالصلح معهم.

ولما تولى عبد الله بن سعد بن أبي السرح ولاية مصر سار إليهم فى عام ٣١هـ وقاتلهم وعقد معهم صلحا وعرفت الاتفاقية بينهم باسم اتفاقية البقط، وكانت نصوصها تتلخص فى إيقاف الحرب بين الطرفين وأن يقوم المسلمون بإعطاء أهل النوبة قمحا وعدسا مقابل أن يعطيهم أهل النوبة أربعمائة رقيق سنويا، وعندما أرهق أهل النوبة عدل الاتفاق في عهد المهدي إلى دفع البقط مرة كل ثلاث سنوات واستمرت اتفاقية البقط هذه بين مصر وبلاد النوبة لمدة ستة قرون.

المحاضرة العاشرة

تابع لخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

عناصر المحاضرة

- **انشاء البحرية الاسلامية.**
- **فتح قبرص.**
- **معركة ذات الصواري.**
- **أهم أعمال عثمان رضي الله عنه.**
- **الفتنة الكبرى أسبابها ونتائجها .**

انشاء البحرية الاسلامية:

رأى معاوية بن أبي سفيان وهو أمير على الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب أنه لن يتمكن من القضاء على معاقل الروم في الشام إلا إذا قطع الطريق البحري الذي تأتيها الإمدادات عن طريقه من بلاد الروم، ولن يتأتى للمسلمين ذلك إلا بعمل أسطول بحري، وقد كتب معاوية إلى الخليفة عمر يستأذنه في إنشاء هذا الأسطول واستشار الخليفة عمر عمرو بن العاص في ركوب البحر، فكتب إليه عمرو بن العاص يصف له حال البحر فقال: "هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء. إن ركد فلق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، وراكبه دود على عود، إن مال غرق وإن نجا برق ".

فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية ينهاه عن بناء البحرية الإسلامية.

و في عهد الخليفة عثمان أعاد معاوية الأمر عليه وهون له أمر البحر فوافقه عثمان، واستعان معاوية بأهل الشام الذين كانت لهم دراية في صنع السفن، كما استعان بمن تبقى من الروم والأرمن في إنشاء أسطول بحري حربي للدولة الإسلامية، وقد سار عبد الله بن أبي السرح سيرة معاوية في إنشاء أسطول بحري في مصر، وبإنشاء الأسطولين تمكن المسلمون من حماية شواطئهم من غارات الروم.

فتح قبرص:

بعد إنشاء الأسطول الإسلامي استأذن معاوية الخليفة عثمان في فتح قبرص وهون له أمرها، فأذن له، وقاد معاوية الأسطول الإسلامي ومعه جماعة من الصحابة فيهم أبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء، وعبادة بن الصامت، وتمكن من فتحها وصالح أهلها على سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدونها كل عام.

معركة ذات الصواري:

حز في نفوس الروم انتصار المسلمين عليهم في كل المعارك، ودخولهم الشام ومصر وأفريقية، وتبين لهم تفوقهم عليهم في حرب اليابسة، ففكروا أن يضربوهم الضربة القاضية في البحر، وحسب علمهم فإن العرب لا قبل لهم بالبحر وهم أبناء الصحارى، فأعد الامبراطور قسطنطين أسطولاً ضخما تقدره بعض المصادر بخمسمائة مركب وقاده بنفسه.

تجمع أسطول المسلمين وكان عدد مراكبه مائتى مركب، وقاد أسطول المسلمين عبدالله بن سعد بن أبى سرح والى مصر والتقى الاسطولان فبدأ المسلمون رمي الروم بالنبل ولمل نفد النبل استخدموا الحجارة وعندما نفدت الحجارة ربطوا مراكبهم بمراكب الروم واستخدموا السيوف، ودارت المعركة والتي ثبت فيها الطرفان ثباتا شديدا، واختلط الحابل بالنابل، وكان المسلمون والروم يتضاربون بالسيوف ويتواجهون بالخناجر، حتى تغير لون الدم بالساحل وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما. ثم نصر الله المسلمين على الكافرين، وقد جُرح قسطنطين امبراطور الروم والتجأ إلى جزيرة صقلية، وقيل أن جنوده قتلوه لأنهم اعتبروه مسئولا عن هزيمتهم.

وكان من نتائج هذه المعركة أن الغلبة أصبحت للمسلمين على البر والبحر ولم يعد البحر المتوسط بحيرة رومانية، بل غدا بحيرة إسلامية وقد ساعدت الغنائم التى استولى عليها المسلمون فى تلك المعركة فى تدعيم الاسطول الإسلامى، وقد حدثت هذه الموقعة عام ٣١هـ.

أهم أعمال عثمان رضى الله عنه:

عمل عثمان على عمارة المسجد الحرام عام ٢٦هـ، كما قام بعمارة المسجد النبوى عام ٢٩هـ، وسقفه بالساج وجعله طوله مائة وستين ذراعا في مائة وخمسين ذراعا، وكان المسجد مائة في مائة ذراع، كما جعل للأرقاء نصيبا فى بيت المال.

ومن أهم أعماله رضي الله عنه جمعه للمسلمين على مصحف واحد وكانت المصاحف فى الأمصار مختلفة لاختلاف القراءات، فجمعه على مصحف واحد، ونسخ منه نسخا جعلها في الأمصار، وأمر بحرق ما سواها، ويعرف المصحف حتى اليوم بالرسم العثماني، وقد تم هذا العمل فى عام ٣٠هـ، وقام بكتابة هذا المصحف زيد بن ثابت.

أيضاً قام بمواصلة الفتوحات الإسلامية، وتم فى عهده فتح قبرص ورودس وأرمينية و أجزاء من أفريقية وبلاد النوبة، كما تم إنشاء البحرية الإسلامية فى الشام ومصر، وأصبحت السيطرة والغلبة للمسلمين في البر والبحر بعد أن كانت في البر فقط، وتحول البحر المتوسط إلى بحيرة إسلامية.

الفتنة الكبرى أسبابها ونتائجها:

للفتنة التي حدثت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أسباب كثيرة ويمكن تقسيمها إلى ثلاث أقسام:

أ- أسباب أخذها مثيرو الفتنة على عثمان وطريقة حكمه.

ب- أسباب فرضتها ظروف الدولة وطبيعة التحول الاجتماعي في هذا العصر.

ج- نشاط الفئات السرية المعادية.

أ- الأسباب التي أخذها مثيرو الفتنة على عثمان وطريقة حكمة:

١- قالوا أنه ضرب عمار بن ياسر حتى فتق أمعاءه، والصحيح انه أدبه ولم يفتق أمعاءه، وسبب ذلك أن عمار حمل على عباس بن عتبة بن أبي لهب وعركة.

٢- قالوا ضرب عبدالله بن مسعود حتى كسر أضلعه ومنعه عطاءه وهذا لم يحدث والجائز أنه أدبه، وسبب ذلك أنه حدث خلاف بين عبدالله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص، وقد كان ابن مسعود مسؤولا عن بيت المال وسعد واليا على الكوفة واقترض سعد مالا من بيت المال وتأخر في رد المال فعاتبه عبدالله بن مسعود وتحادا، فيبدو أن الخليفة رأى أن الحق مع سعد فحكم له.

٣- قالوا أنه أتم الصلاة في السفر وكانت لا تتم. فرد عليهم ألا واني قدمت بلدا فيه أهلي، فأتممت لهذين الأمرين، أو كذلك؟ قالوا اللهم نعم.

٤- قالوا: كان القرآن كتبا، فتركها واحدا. فرد عليهم: ألا وان القرآن واحد، جاء من عند واحد، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أكذلك؟ قالوا: نعم.

٥- قالوا: أنه استعمل الأحداث. فرد عليهم بقوله: أنا لم أستعمل إلا مجتمعا محتملا مرضيا وهؤلاء أهل عملهم، فسلوهم عنهم، وقد ولى قبلي من هو أحدث منهم، وقيل في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أ شد مما قيل لي في استعماله أسامة، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

٦- وقالوا أنه أعطى ابن أبي السرح ما أفاء الله عليه. فرد عليهم بقوله: واني إنما نفلته خمس ما أفاء الله عليه من الخمس، فكان مائة ألف، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك، فرددته عليهم، وليس ذلك لهم، أكذلك؟ قالوا: نعم.

٧- وقالوا: إنه يحب أهل بيته ويعطيهم. فرد عليهم بقوله: فأما حبي فإنه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وإما إعطاؤهم فإني أعطيهم من مالي، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس، ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذ شحيح حريص أفحين اتيت على أسنان أهل بيتي، وفنى عمري، وودعت الذي لي في أهلي، قال الملحدون ما قالوا؟

٨- قالوا : إنه نفى أبا ذر إلى الربذة. ويبدو أن سبب ذلك هو أنّ أبا ذر كان زاهدا وكان يهاجم معاوية والي عثمان بالشام وكل الأغنياء ويتلوا عليهم قوله تعالى: { والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم } وكان أبو ذر زاهدا ويريد من الناس جميعهم أن يكونوا زهادا مثله، فأدى ذلك إلى تأليب الفقراء ضد الأغنياء، فقال له عثمان (لو اعتزلت) فخرج بإرادته إلى الربذة، والصحيح أن المال الذي يؤدى منه حق الزكاة لا يعتبر كنزا.

١٠- قالوا أنه جلس في المنبر على الدرجة التي كان يجلس عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر الصديق قد انحط عنها درجة وانحط عمر بن الخطاب درجة عن أبي بكر، ولو استمر الخلفاء ينحط كل واحد منهم درجه لاحتاج آخر خليفة أن يكلم الناس من قاع بئر، وهذا الذي فعله عثمان ليس فيه شيء يخرجه من اتباع السنة.

١١- قالوا: انه لم يحضر بدرا، وانهزم يوم أحد، وغاب عن بيعة الرضوان، ورد على ذلك ابن عمر فقال: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان.

١٢- قالوا: انه امتنع عن قتل عبيدالله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان، وقد وردت رواية في الطبري تؤكد أن عثمان بن عفان أمكن ابن الهرمزان من عبيد الله بن عمر ليقتله بأبيه ولكن ابن الهرمزان بعد أن انفرد به عفا عنه، وقد حمله الناس على أكتافهم حتى

أوصلوه داره إكراما لابن الهرمزان، وهذا الموقف الذي وقفه عثمان والصحابة الأبرار لا نظير له في تاريخ الإنسانية.

١٥- قالوا: انه اتبع طريقة جديدة في معاقبة الناس فنفا أشخاصا من الكوفة والبصرة إلى الشام، فأخذ أولئك أينما حلوا يؤلبون الناس عليه – وهؤلاء الذين نفاهم عثمان يعتبرون من المفسدين في الأرض وكان الأولى قتلهم أو قطع أرجلهم وأيديهم من خلاف، ولكن عثمان بن عفان كان رجلا سمحا ورعا رقيقا فآثر عقوبة النفي وهي أقل العقوبات في حقهم وليته قتلهم، لأن التهاون مع أمثال هؤلاء هو الذي شجعهم ليتطاولوا عليه ويحصروه في داره ويقتلوه.

ب -الأسباب التى فرضتها ظروف الدولة وطبيعة التحول الاجتماعى فى ذلك العصر:

١- كان العرب قبل الإسلام قبائل متفرقة تخضع كل قبيلة لرئيس، وعندما تقل موارد القبيلة تغير على جارتها، واعتادوا على حياة السلب والنهب والاقتتال ولم يتعودوا على نظام الدولة أو الحكومة فهم أميل إلى الثورة وتأييدها والخروج عن مركزية الدولة.

٢- نتيجة لتطور المجتمع الإسلامي بعد الفتوحات فقد أصبح يعج بمختلف الأجناس والأديان مع كثرة الأرقاء والسبايا، كما أن الكثيرين من أبناء الأمم الموتورة قد أعلنوا إسلامهم وأبطنوا الكفر، وأدى اختلاط العنصر العربي بهؤلاء إلى قابلية المجتمع الإسلامي للفتنة، لأن الطباع المتناقضة والميول المتوارثة من شتى الأعراق تكون طبيعة شاذة لا تستقيم على حال ويصعب قيادها.

٣- منع الخليفة عمر ابن الخطاب كبار الصحابة من الخروج من المدينة للأمصار حتى لا يفتتن الناس بهم، ولكن الخليفة عثمان سمح لهم فلما خرجوا إلى الأمصار التف الناس حولهم وعظموهم فداخل بعظهم العُجب، كما أن الكثير منهم اغتنى وبدأ ينفق من ماله كثيرا مما حبب إليهم الناس، فتمنى كل مصر من الأمصار أن يتولى صاحبة وساعد ذلك في ظهور الأحزاب.

٤- اضطر عثمان بن عفان إلى تجنيد الأعراب وهم الذين قال الله فيهم : {الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم }

وكان معظم هؤلاء الأعراب عندما يشتركون في قتال كانوا يبغون عرض الحياة الدنيا فشكلوا طبقة من (الرعاع) وعندما يكون هؤلاء بيدهم السلاح فيسهل على المستغلين

توجيههم إلى الفتنة وقد طالب الإمام علي الأعراب بالرجوع إلى مياههم كما طالب العبيد بالعودة إلى مواليهم ولكن السبئية ومثيري الفتن لم يستجيبوا لرأيه عند ولايته ولم يكن في مقدور الإمام علي بعد المبايعة أن يواجههم وقد قالها لطلحة والزبير عندما طالبوه في إقامة الحدود على قتلة عثمان .

٥- توقفت الفتوحات فى أواخر عهد الخليفة عثمان بعد أن بلغت الحواجز الطبيعية وبتوقف الجيوش انقطعت الغنائم وبقى الجنود بدون عمل، ونتيجة للفراغ ولتوفير العطاء من قبل الدولة لكل رعاياها، فقد تفرغ الناس للخوض فى السياسة ولسماع الإشاعات التى ترد من الفئات المتآمرة، فوجد مثيرو الشغب أذنا صاغية.

المحاضرة الحادية عشرة

تابع لخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

عناصر المحاضرة

- **نشاط الفئة السرية المعادية.**
- **مراحل الفتنة.**
- **مسير الثوار الى المدينة.**
- **نتائج الفتنة ومقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.**

جـ - نشاط الفئة السرية المعادية:

لقد بدأت المؤامرة بالكيد للإسلام في أيام الخليفة عمر بن الخطاب، فأبا لؤلؤة الذي قتل الخليفة عمر كان غلاماً مجوسياً، واشترك معه في هذه المؤامرة الدنيئة الهرمزان وكان فارسياً اشتهر بالمكر والخديعة وجيء به إلى المدينة مرغماً فأعلن إسلامه وأبطن الكفر، كما اشترك معهم جفينة وكان نصرانياً من الأنبار، وهؤلاء الثلاثة هم الذين دبروا قتل عمر بن الخطاب، وعلى الرغم من مقتل هؤلاء الثلاثة فإن المؤامرات ضد الإسلام لم تنته.

وفي عهد الخليفة عثمان أعلن رجل يهودي من أهل اليمن اسمه عبد الله بن سبأ، ويلقب بابن السوداء، إسلامه ولكنه كان منافقاً خادعاً ماكرا، فقام هذا الرجل ينشر تعاليمه الخبيثة بين الناس فكان يقول لمن حوله إني لأعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب أن محمداً يرجع، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى " فوضع لهم الرجعة فتكلموا فيها " ، ثم قال لهم: " لكل نبي وصي، وعلي وصي محمد، ولما كان محمد خاتم الأنبياء فعلي خاتم الأوصياء، ومن أظلم ممن لم يجز وصيه رسول الله، ووثب على وصيه وقد أخذ عثمان الخلافة من غير حق، وهذا وصي رسول الله فانهضوا في هذا الأمر وحركوه ".

وقام ابن سبأ بنشر سمومه هذه في مصر ووجد له مشايعين، وغادر إلى الكوفة فنشر سمومه بها فطرده أميرها كذلك، فذهب إلى الشام إلا أن يقظة معاوية حالت دون رواج بضاعته فعاد أدراجه إلى مصر.

وقام عبد الله بن سبأ الذي يبدوا أنه كان عضوا في جمعية سرية أو كانت هذه الجمعية بزعامته، بالكتابة إلى أنصاره في الكوفة والبصرة وكانت هذه الخطابات مزورة بتوقيعات السيدة عائشة وطلحة والزبير وعلي، وكانت هذه الخطابات مليئة بالإشاعات المغرضة في الخليفة عثمان بن عفان وفي ولاته، **وكان هذا من أبرز عوامل الفتنة وكان لهذه الجمعية**

السرية القدح المعلى فى إشعال الفتنة ومقتل عثمان، وكذلك حادثة الجمل ولولاها لتم الصلح قبل موقعة الجمل بين الإمام على وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.

وتضافرت جهود السبأيين مع الأعراب والأرقاء والرعاع من ضعاف النفوس لتقابل في الجانب الثاني بسماحة الخليفة عثمان رضي الله عنه ورقته وورعه، والذي كان يخشى أن يريق دماء ولو بمقدار محجم دفاعا عن نفسه، بينما هؤلاء البغاة قتلوه وأراقوا دمه، وأراقوا دماء المسلمين الطاهرة.

مراحل الفتنة :

عندما قام عبد الله بن سبأ بالكتابة للأمصار يدعو الناس للرجعة والفتنة ويطعن في حق عثمان في الخلافة وفي ولاته وكثرت الإشاعات والكتابات المزورة بتوقيعات علي والزبير وطلحة وعائشة، أوصلوا هذه الأخبار للخليفة عثمان، وقام عثمان بجمع أصحاب المشورة، فأشاروا عليه بإرسال رجال ممن يثق بهم إلى الأمصار ليستطلع أخبار هذه الإشاعات. وقام الخليفة عثمان بإرسال الرسل للأمصار فجاؤوه ليؤكدوا أن الذي يصلهم ما هو إلا إشاعات مغرضة والأمور مستتبة في الأمصار ولكي يقطع الشك طلب عثمان ولاته في الأقاليم فحضروا إليه وهم: عبد الله بن عامر، ومعاوية، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيدا وعمرا، وسألهم الخليفة عثمان عن الإشاعات التي ترد إلى الناس في حقهم؟ فردوا عليه بأنك بعثت رجالا موثوقين وجاؤوك يؤكدون لك استتباب الأمور في الولايات، فلا تأخذ بهذه الإشاعات، فطلب عثمان بعد ذلك مشورتهم.

فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع، يصنع في السر، فيلقي به غير ذي معرفة فيخبر به، فيتحدث به في مجالسهم، قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم ثم قتل هؤلاء.

وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي عليهم، فإنه خير من أن تدعهم. وقال معاوية: قد وليتي فوليت قوما لا يأتيك عنهم إلا خير والرجلان أعلم بناحيتهما، قال فما الرأي؟ قال حسن الأدب قال فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لنت لهم، وتراخيت عنهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك، فتشتد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين، وقد فرشتهما جميعا اللين.

وقام عثمان وحمد الله وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتم به علي قد سمعت ولكل باب أمر يؤتى منه، إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن، وقد علم الله أني لم آل الناس خيرا، ولا نفسي. ووالله ان رحا الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها. كفكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم واغتفروا لهم، وإذا انتهكت حقوق الله فلا تداهنوا فيها.

وكان معاوية قد قال لعثمان عندما ودعه وخرج: يا أمير المؤمنين، انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به، فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا. فقال أنا لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي، قال: فأبعث إليك جندا منهم يقيم بين ظهراني أهل المدينة لنائبة ان نابت المدينة أو اياك. قال: أنا أقتر على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم الأرزاق وأضيق على أهل دار الهجرة. قال: والله يا أمير المؤمنين لتغتالن أو لتغزين، قال حسبي الله ونعم الوكيل.

ولما رجع الأمراء كتب السبئية إلى أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة ليظهروا ما يريدون، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف وعندما قدموا المدينة أرسل إليهم رجلين فسألاهم عن أمرهم فقالوا لهم: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أنا واجهناه بها، فلم يخرج منها ولم يتب، ثم نخرج كأننا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبي قتلناه فرجع الرجلان إلى عثمان وأخبراه بالخبر، وضحك وقال: اللهم سلم هؤلاء، فإنك إن لم تسلمهم شقوا.

دعا الخليفة عثمان بعد ذلك إلى صلاة جامعة وأرسل إلى الكوفيين والبصريين وحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، وقام الرجلان اللذان افتضح أمرهم، فقالوا جميعا: اقتلهم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من دعا نفسه أو إلى أحد وعلى الناس امام فعليه لعنة الله فا قتلوه).

فقال عثمان: بل نعفوا ونقبل ونبصرهم بجهدنا، ولا نحاد أحدا حتى يركب حدا، أو يبدي كفرا. ورد الخلية عثمان بعد ذلك على كل التهم التي ألصقت به وفندها. ويتضح مما ذكر أن المؤامرة كانت مكشوفة للخليفة عثمان وصحابته ولعامة الناس، وأجمع الصحابة على قتل مثيري الفتن والشغب، ولكن سماحة الخليفة عثمان ورقته أبت عليه إلا العفو والصفح وأنه لا يقتل إلا في الكفر الصريح أو إقامة الحدود.

مسير الثوار الثاني الى المدينة:

ورجع الثوار ومثيرو إلى الشغب إلى أمصارهم واتفقوا أن يعودوا للمدينة في شوال كأنهم حجاج، ولما كان شوال في سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر على أربع فرق وعددهم بين الستمائة والألف وأميرهم الغافقي ومعهم ابن السوداء، وخرج أهل الكوفة في أربع فرق وأميرهم عمرو بن الأصم وعددهم كعدد أهل مصر، وخرج أهل البصرة في أربع فرق وأميرهم حرقوص بن زهير وعددهم كعدد أهل مصر والكوفة، وقد كان أهل مصر يريدون عليا ويرغبون في ولايته الخلافة، وكان أهل البصرة يريدون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يريدون الزبير.

ويتبين لنا في هذه المؤامرة كيف أنهم أجادوا حبك خيوطها، ولم يريدوها مؤامرة واحدة وإنما أرادوا بها سلسلة مؤامرات تتمخض عن عدة فتن فتقضي على نظام الخلافة وعلى الدولة الإسلامية، فانهم اتفقوا على إزالة الخليفة عثمان من السلطة، ولكنهم لم يكتفوا بذلك، بل جعلوا كل مصر من الأمصار يطالب بخليفة، وبعد مقتل الخليفة عثمان يتصارع الناس فيمن يلي السلطة فبعضهم يريد عليا وبعضهم يريد الزبير وبعضهم يريد طلحة، ونتيجة للاقتتال فيما بينهم تستمر الفتنة بين المسلمين فتقضي على الأخضر واليابس.

خرج الثوار حتى قدموا المدينة ونزل أهل البصرة بذي خشب، ونزل أهل الكوفة بالأعوص ونزل أهل مصر بذي المروة، وذهب وفد من أهل مصر إلى علي بن أبي طالب وكان في عسكر عند أحجار الزيت فعرضوا عليه أمرهم، فصاح بهم وطردهم، وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خشب ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فارجعوا لا صحبكم الله. فقالوا: نعم وانصرفوا من عنده على ذلك. وأتى البصريون طلحة فعرضوا عليه فصاح بهم وطردهم، وقال: لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم.

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى فعرضوا عليه، فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم المسلمون أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فخرج القوم من عندهم وأظهروا أنهم يرجعون فتفرق أهل المدينة ولكن الثوار جاؤوا وفاجأوا أهل المدينة وأحاطوا بالخليفة عثمان، وقالوا من كف يده فهو آمن.

وأتاهم الناس وكلموهم وكان فيهم علي، فقال لهم: ماردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا، وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك. **فقال لهم علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل**

مصر، وقد سرتم مراحل، ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة. قالوا: فضعوه على حيث ما شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا.

يتضح لنا تلفيق قصة الخطاب الذي أرسله عثمان إلى واليه بمصر عبد الله بن سعد أبي السرح لقتل الثوار، والذي اتهم به الثوار مروان بن الحكم بعدما نفى الخليفة عثمان القصة، وكل ما ورد يؤكد التدبير لشر مستطير.

استمر الثوار يحاصرون الخليفة عثمان أربعين يوما وفي الثلاثين يوما الأولى كان يصلي بهم ويصلون خلفه ولا يمنعون أحدا منه وحاول علي بن أبي طالب وطلحة والزبير الدفاع عن الخليفة ومقاتلة القوم إلا أن الخليفة نهاهم فجعل علي ابنه الحسن في باب عثمان مدافعا عنه كما جعل الزبير ابنه عبد الله وجعل طلحة ابنه محمد في باب عثمان واستمر ثلاثتهم مع بعض الصحابة يدافعون عن الخليفة عثمان.

وكتب الخليفة عثمان إلى الأمصار يستمدهم، وكان مما قاله: "قد أغار علينا أقوام بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمه وأرض الهجرة، وثارت إليهم الأعراب فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد. فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق " .

نتائج الفتنة ومقتل الخليفة عثمان بن عفان:

لاشك أن نتائج هذه الفتنة وعواقبها كانت وخيمة، ففي الجمعة التي نزل فيها المصريون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال: يا هؤلاء العدى، الله الله! فو الله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فامحوا الخطايا بالصواب، فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ إلا بالحسن فثار رجل وأقعده رجل آخر، وقام آخر وأقعده آخر، ثم ثار القوم، فحصبوا عثمان حتى صرع مغشيا عليه، فاحتمل وأدخل داره، ثم صلى بالناس ثلاثين يوما ثم منع من الصلاة وكان يصلي بهم الغافقي، ولزم أهل المدينة بيوتهم بعد أن نهاهم عثمان عن القتال.

واشتد الحصار على عثمان ومنعوا عنه الماء و الطعام، وكان بالدار بئر ولكن ماءها غير صحي، وكان الإمام علي يرسل له الماء، وسمع الثوار بنفور أهل الأمصار، وقالوا في أنفسهم لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل، فيشتغل بذلك الناس عنا، فحاولوا الدخول على الخليفة عثمان من الباب ولكن الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص منعوهم، وتجالدوا بالسيوف، فناداهم عثمان: الله

اللهِ!! أنتم في حل عن نصرتي، فأبوا، واتخذ عثمان القرآن عبادة في تلك الأيام يصلي وعنده المصحف، فإذا تعب جلس وهو يقرأ فيه، وقام المصريون بإحراق الباب والسقيفة، وسقطت السقيفة، وثار أهل الدار وعثمان يصلي حتى منعوهم الدخول، **وكان آخر من خرج من عند الخليفة عثمان عبد الله بن الزبير وأوصاه عثمان إلى أبيه وأمره أن يأمر أهل الدار بالانصراف إلى منازلهم.**

وحينما أحرق الباب كان عثمان يقرأ في سورة طه، وقبل أن يصل إليه الثوار أكمل قراءة السورة، ثم عاد فجلس وقرأ:{الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} ودخل الغافقي وضرب الخليفة عثمان رضي الله عنه بحديدة معه، وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف واستقر بين يديه وسالت عليه الدماء، وجاء سودان بن حمران ليضربه فانكبت عليه نائلة والتقت السيف بيدها فقطع أصابعها، وضرب عثمان فقتله، وقد حاول غلمان لعثمان الدفاع عنه فقتلوهم.

وبلغ خبر مقتل عثمان الزبير وكان خارج المدينة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون رحم الله عثمان وانتصر له، وقالوا له ان القوم نادمون، فقال: دبرو دبرو (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) وأتى الخبر طلحة فقال: رحم الله عثمان وانتصر له، وللإسلام، وقيل له ان القوم نادمون، فقال: تبا لهم وقرأ (فلايستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون) وأتى الخبر علي فقال: رحم الله عثمان وخلف علينا بخير وقيل ندم القوم فقرأ (كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر ...) . وجاء الخبر سعد بن أبي وقاص فقرأ (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)،**ولم يكتف الثوار بقتل عثمان وكل من قاتل دونه بل نهبوا بيت المال مما يؤكد ضلالهم وفسادهم، وبلغ بهم الفجور حدا أنهم لم يسمحوا بمواراة هذا الجسد الطاهر ثلاثة أيام، وشيع بعد ذلك الخليفة عثمان إلى مثواه الأخير بالبقيع في نفر قليل من الصحابة.** رحم الله عثمان بن عفان ذي النورين رحمة واسعة، وجزاه الله كل خير عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

المحاضرة الثانية عشرة

خلافة الامام علي بن أبي طالب

٣٥-٤٠هـ

عناصر المحاضرة

- **ترجمة الامام علي رضي الله عنه.**
- **الدولة بلا خليفة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.**
- **المبايعة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.**
- **ماجرى بين الامام علي وطلحة والزبير.**
- **مقدمات موقعة الجمل.**
- **مسير الامام علي الى البصرة.**
- **مساعي الاصلاح.**
- **رؤوس الفتنة واحباط مساعي الاصلاح.**

- ترجمة الامام علي رضي الله عنه:

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

ولد علي بن أبي طالب قبل الهجرة بإحدى وعشرين سنه، وضمه الرسول صلى الله عليه وسلم إليه عندما أصاب البلاد القحط ويروى أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه، يا عباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفف عنه عياله، أختر أنا من بنيه رجـلا، وتأخذ أنت رجلا فنكفهمـا عنه، فقال العباس نعم، فانطلقا حتـى أتيا أبا طالب فقالا له: انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، وأخذ العباس جعفرا فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا، فاتبعه علي رضي الله عنه وآمن به وهو ابن عشر سنين.

ومن تضحيات الإمام علي في سبيل الدعوة الإسلامية منامه في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة، وأداؤه للأمانات التي كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ان هاجر **اشترك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل الغزوات ماعدا غزوة تبوك، فقد ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة،** واشتهر الإمام علي بفروسيته، وكان أول من جندل الكفار في غزوة بدر، كما قتل عمرو بن ود في غزوة الخندق، وكان أبو بكر الصديق في خلافته يستشير عليا، وكذلك فعل عمر في خلافته ،وكان يقضي له في كثير من القضايا، وكان الخليفة عثمان يستشيره دائما، وكان ناصحا له، وفي حصار عثمان وقف يذود عنه وأراد أن يقاتل دونه ولكن الخليفة عثمان نهاه فترك ابنه الحسن في باب عثمان ليتولى الدفاع عنه، وكان يقدم الماء لعثمان عندما منع الثوار دخول الماء إليه، وعندما قتل عثمان جاء وضرب ولده الحسن وشتم عبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحه ظنا منه إنهم قصروا في الدفاع عن الخليفة عثمان، ولكنهم أكدوا له أن الخليفة عثمان نهاهم عن القتال.

- الدولة بلا خليفة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه:

بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وأميرها الغافقي يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، يأتي المصريون عليا فيختبئ منهم ويلوذ ببساتين المدينة، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة، ويطلب الكوفيون الزبير فلا

يجدونه، فأرسلوا إليه رسلا فباعدهم وتبرأ من مقالتهم ويطلب البصريون طلحة، فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم، ولما لم يجدوا من يتولى الأمر، بعثوا إلى سعد بن أبي وقاص، وقالوا: انك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع، فاقدم نبايعك، فبعث إليهم: إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال، وتمثل:

لا تخلطــن خبيثــات بطيبــة واخلع ثيابك منها وانج عريانا

ثم أنهم أتوا عبد الله بن عمر، فقال: ان لهذا الأمر انتقاما، والله لا أتعرض له، فالتمسوا غيري، فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون.

المبايعة لعلي رضي الله عنه:

ولما كان يوم الخميس بعد خمسة أيام من مقتل عثمان، جمع الثوار أهل المدينة وقال لهم أهل مصر أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الإمامة، وأمركم جائز على الأمة، فانظروا رجلا تنصبونه، ونحن لكم تبع، فقال الجمهور: علي بن أبي طالب نحن به راضون، فقالوا لهم دونكم يا أهل المدينة فقد أجلناكم يومين، فو الله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا عليا وطلحة والزبير وأناسا كثيرا.

فغشى الناس عليا فقالوا له: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام، فقال علي: دعوني والتمسوا غيري، فانا مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، فقالوا:نناشدك الله ألا ترى ما نرى؟ ألا ترى الإسلام ؟ ألا ترى الفتنة ؟ ألا تخاف الله ؟ فقال قد أجبتكم لما أرى، واعلموا نن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وأن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلا اني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، ثم افترقوا على ذالك وتواعدوا إلى الغد.
وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحه والزبير فقد استقامت فبعث البصريون إلى الزبير بصريا، وقالوا: احذر لاتحاده فجاؤوا به يحدونه بالسيف.

وجلس الإمام علي يوم الجمعة بالمسجد وبايعه طلحه والزبير ثم بايع أهل المدينة وعامة الناس، وقام الإمام علي فخطب الناس فقال: (إن الله عز وجل أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر. الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة. إن الله حرم حرما غير مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد على المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى

المسلم إلا بما يجب. بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت، فان الناس أمامكم وان من خلفكم الساعة تحدوكم. تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم.

اتقوا الله في عباده وبلاده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصون، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه. {واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض}.

- ما جرى بين الامام علي وطلحة والزبير:

اجتمع طلحة والزبير ومعهم بعض الصحابة بالإمام علي، وقالوا له: إنا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في مقتل هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم فقال لهم: يا اخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعا لقدرة على شيء مما تريدون قالوا لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله، وإن هذا الأمر أمر جاهلية، وان لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدا. ان الناس من هذا الأمر على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى مالا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا، حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدأ واعني وانظروا ما يأتيكم ثم عودوا.

ثم خرج بنو أميه إلى مكة والشام، وخرج علي في اليوم الثالث فقال: أيها الناس، اخرجوا عنكم الأعراب، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم، فأبت السبأية وأطاعهم الأعراب، وقال لطلحه والزبير دونكم ثأركم فاعرضوا عن ذلك، وقال الإمام علي:

لو أن قومي طاوعتني سراتهم أمرتهم أمـرا يديـخ إلا عاديـا

وقال طلحة لعلي: دعني فلآت البصرة فلا يفاجئوك إلا وأنا في خيل، فقال: حتى أنظر في ذالك، وقال الزبير دعني آت الكوفة فلا يفاجئوك إلا وأنا في خيل فقال: حتى أنظر في ذلك، وسمع المغيرة بن شعبة بذلك المجلس فجاء ودخل على الإمام علي وقال له: أقرر معاوية على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت، قال: حتى أنظر، فخرج من عنده وعاد إليه في الغد، فقال: إني أشرت عليك برأي بالأمس، وان الرأي أن تعالجهم بالنزوع، ثم خرج وتلقاه ابن عباس داخلا، فسأل الإمام علي عما قاله المغيرة، فأخبره، فقال ابن عباس لقد نصحك المغيرة بن شعبه في اليوم الأول، أما

اليوم الثاني فقد غشك، قال الإمام علي فما الرأي، قال: أنا أشير عليك بأن تثبت معاوية، فان بايع لك فعلي أن أقلعه من منزله: قال علي: لا والله لا كان هذا أبدا.

- ولاة الامام علي على الأمصار:

بعث الإمام علي عماله على الأمصار، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام، أما والي الشام فلم يسمح له بدخولها فرجع إلى المدنية أما والي مصر فقد تمكن من دخولها وتولى أمرها ووجد الناس على ثلاث فرق: فرقة تؤيد علي، وفرقة تنادي بالثأر من قتلة عثمان وفرقة اعتزلت في خربتا، فعاملهم معامله كريمة وكسب ودهم جميعا. أما والي البصرة عثمان بن حنيف فقد تمكن من دخولها ولم يعترض عليه أحد وتولى أمرها، أما والي الكوفة فقد علم أن أهلها لا يرضون بواليهم بديلا، وكان واليهم هو أبو موسى الأشعري فعاد عمارة بن شهاب.

وكتب الإمام علي إلى أبي موسى الأشعري والى معاوية بن أبي سفيان، فرد عليه أبو موسى الأشعري ببيعة أهل الكوفة وبين الكاره منه للذي كان، أما معاوية فقد أرسل رسولا للإمام علي بعد ثلاثة أشهر من بيعته، وطلب الرسول الأمان من الإمام علي فأعطاه الأمان، فقال الرسول: إنني تركت قوما لا يرضون إلا بالقود منك، وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم، فقد ألبسوه منبر دمشق فقال الإمام علي؟ مني يطلبون دم عثمان؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، نجا والله قتلة عثمان إلا إن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمرا أصابه، اخرج، قال: وأنا آمن: قال: وأنت آمن.

وقد تكشفت للإمام علي اصرار معاوية وعزمه على المواجهة، وفي هذه الأثناء استأذن طلحة والزبير من الإمام على أنهما يريدان الذهاب لمكة لأداء العمرة فأذن لهما، واجتمعا بأم المؤمنين عائشة في مكة وأقنعوها بالخروج معهم إلى البصرة للإصلاح بين المسلمين وتلوا عليها قوله تعالى: {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس}.

- استنفار أهل المدينة:

عندما علم الإمام علي بخروج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة قام باستنفار أهل المدينة ولكنهم تثاقلوا، فبعث إلى عبد الله بن عمر ولكنه أجابه بأنه مع أهل المدينة، وغادر عبد الله بن عمر المدينة إلى مكة وأقام بها معتزلا الفتنة.

خرج الإمام علي من المدينة ومعه الكوفيون والبصريون وكان عددهم سبعمائة رجل، ودعا محمد بن الحنفية فرفع إليه اللواء، وولى عبد الله بن عباس ميمنته، وعمرو بن أبي سلمه ميسرته، وجعل أبا ليلى بن عمر بن الجراح على مقدمته، واستخلف على المدينة قثم بن عباس، وخرج حتى وصل الربذة، وكان يريد أن يدرك طلحة والزبير وعائشة إلا أنهم قد فاتوه إلى البصرة.

- مقدمات موقعة الجمل:

التقى الفريقان: أنصار الامام علي بقيادة واليه على البصرة عثمان بن حنيف وأنصار أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير-لأن أهل البصره افترقوا فرقتين، فئة وقفت مع عثمان بن حنيف وفرقه وقفت مع أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير- وتقاتلوا قتالا شديدا وكثر القتلى بين الفريقين واثخنوا بالجراح، ثم تداعوا إلى الصلح، وتواعدوا على أن يبعثوا رسولا إلى المدينة، فان كان طلحة والزبير أكرها على مبايعة الإمام علي يخرج عثمان بن حنيف ويخلي لهم البصرة، وان كانا لم يكرها على البيعة يخرج طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة من البصرة ويتركوها لعثمان بن حنيف.

قدم كعب بن سور رسولهم إلى المدينة وخاطب أهلها في المسجد وسألهم إن كان الزبير وطلحة اكرها على البيعة، فلزموا الصمت، ولم يجبه سوى أسامة بن زيد وقال له: نعم أكرها فعاد إلى البصرة، وما علم الإمام علي ما كان من شأن هذا الرسول فانه رسل إلى عثمان بن حنيف يقول له: والله ما أكرها إلا كرها على فرقه، ولقد أكرها على جماعة وفضل، فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما، وان كان يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا، ولما طلب طلحة والزبير من عثمان بن حنيف الخروج من البصرة حسب وعدهما، احتج عثمان بن حنيف بكتاب الإمام علي ولم يخرج فحدث بينهم قتال وكان النصر فيه حليف أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير.

- مسير الامام علي بن أبي طالب الى البصرة:

واصل الإمام علي مسيره من الربذة إلى ذي قار وأرسل عبد الله بن عباس والحسن وعمار إلى أبي موسى الأشعري واليه على الكوفة يطلب منه النهوض إليه بمن معه من المسلمين، ولكن أبا موسى الأشعري خذل الناس عنه، وقال لهم ان هذه لفتنة، القاعد فيها خير من القائم وخطب الناس عمار بن ياسر وقال: يا أيها الناس، إنما قال له خاصة: أنت فيها قاعدا خير منك قائما، وقام القعقاع بن عمرو وكان مما قال: لابد من إمارة تنظم الناس وتردع الظالم وتعز المظلوم، وهذا علي يلي بما ولى وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو للإصلاح، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع، وقال الحسن بن علي: يا أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى أخوانكم، فانه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، الله لئن يليه أهل النهي أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم كما قال: أيها الناس إني غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على البر، ومن شاء فليخرج في الماء، فنفر معه تسعة آلاف، فأخذ بعضهم البر، وأخذ بعضهم الماء.

- مساعي الاصلاح:

بعد أن اجتمع للإمام علي أهل الكوفة أرسل إلى أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير: القعقاع بن عمرو، وقال له: الق هذين الرجلين فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهم الفرقة، فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبد أ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها، وقال أي أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاح بين الناس قال فابعثني إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليها فجاءا، فقال: إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟ فقالت إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ متابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان، قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فو الله لئن عرفنا لنصلحن ولئن أنكرناه، لا نصلح: قالا: قتلة عثمان رضي الله عنه، فقال: قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة إلا رجلا، فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الذي أفلت – يعني حرقوص بن زهير – فمنعه ستة آلاف وهم على رجل، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم، فالذي حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون. فقالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟ قال: أقول هذا الأمر دواؤه التسكين، وإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثأر هذا الرجل، وعافية وسلامة لهذه الأمة، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه، فكانت علامة الشر، وذهاب هذا الثأر، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم

تكونون، ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم . فقالوا: نعم، وإذ قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر. فرجع إلى علي وأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه.

يتضح لنا من المفاوضة التى تمت بين القعقاع بن عمرو ممثلاً للإمام على، وبين أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير أن القوم تداعوا إلى الصلح، وقد تقاربت وجهات النظر ولكن رؤوس الفتنة قاموا بإحباط مساعى ذلك الإصلاح.

المحاضرة الثالثة عشرة

تابع لخلافة علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

عناصر المحاضرة

- رؤوس الفتنة و احباط مساعي الاصلاح.
- موقعة الجمل.
- مقتل الزبير بن العوام.
- تجهيز أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
- موقعة صفين.
- ظهور الخوارج.
- التحكيم ونتائجه.
- استشهاد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

رؤوس الفتنة وإحباط مساعي الاصلاح:

اجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة، والأشتر في عدة ممن سار إلى عثمان، وجاء معهم المصريون: ابن السوداء وخالد بن ملجم وتشاوروا، فقالوا ما الرأي؟ فرأى بعضهم قتل الإمام على لينشغل الناس به عن المطالبة بمقتلة عثمان، ولكن ابن سبأ كان يرى رأيا آخر اتفقوا جميعا على تنفيذه، وهو أن ينشبوا القتال ولا يدعون فرصة للصلح.

وسأل الإمام علي رجلا قائلا له: أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم، قال فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إن الشيء إذا كان لا يدرك، فالحكم فيه أحوطه واعمه نفعا، قال: فما حالنا وحالكم إن ابتليت غدا؟ قال إني لأرجو ألا يقتل أحد نقى قلبه لله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة.

ووقفت جماعة الأحنف بن قيس الذين منعوا حرقوص بن زهير أن تقتله طائفة عائشة في الحياد، وقال الأحنف بن قيس للإمام علي: لو انتصرت على تلك الجماعة هل ستدخل البصرة وتقتل رجالهم وتسبي نساءهم، فرد عليه الإمام علي وقال: ما مثلي يخاف هذا منه، وهل يحل هذا إلا من تولى وكفر؟ ألم تسمع قوله تعالى: { لست عليهم بمسيطر، إلا من تولى وكفر} وهم قوم مسلمون هل أنت مغن عني قومك؟ قال: نعم، فكف عنه الأحنف بن قيس عشرة آلاف سيف وعندما انتهت المعركة بانتصار الإمام علي، جاؤوا ودخلوا في طاعته.

موقعة الجمل :

كان عدد جيش الإمام علي عشرون ألفا وعدد جيش طلحة والزبير ثلاثون ألفا والتقى الجيشان وهم لا يشكون في الصلح، فنزل أهل اليمن من جيش الإمام إزاء أهل اليمن من جيش طلحة والزبير، ومضر إزاء مضر، وربيعة إزاء ربيعة.

التقى الإمام علي وطلحة والزبير وتفاوضوا ولم يجدوا أمثل من الصلح، فافترقوا على ذلك ودخل كل معسكره، ولكن من أراد دم عثمان من طائفة طلحة والزبير لم ينم ليلته هذه وكان يسعى لإشعال الحرب ومن اتهموا بقتل عثمان من طائفة الإمام علي أمثال ابن سبأ لم يناموا ليلتهم تلك، وبدأوا يخططون للحرب، واتفقوا أن ينشبوا القتال ليلا، ويكون أحدهم قريبا من الامام علي، فإذا سأل ما الخبر أجابوه بأن طلحة والزبير لا يريدان صلحا، وقد فاجأونا بالقتال، ونتيجة لذلك التدبير بدأت الحرب بين الطرفين، وظن طلحة والزبير أن الإمام علي لا يريد صلحا وإنما يريد قتالا، وظن الإمام علي أن طلحة والزبير لا يريدان صلحا وإنما يريدان قتالا: **بدأ القتال وجاء سهم فأصاب طلحة في ركبته ولما ثقل، طلب من غلامه أن يردفه ويقوده إلى مكان ينزل فيه فأدخله البصرة ثم مات رضي الله عنه متأثراً بجراحه.**

وحاولت السيدة عائشة الإصلاح، وقالت من بدأ القتال فهو مهزوم، ولما رأت الناس لا يكفون عن القتال بدأت تدعوا على قتلة عثمان وقومه يرددون، ولما علما الإمام علي بدعائها وقومها على قتلة عثمان، بدأ الإمام علي يدعوا على قتلة عثمان.

كان أنصار أم المؤمنين عائشة يقاتلون حول الجمل دفاعا عنها واستماتوا في القتال، فقتل الآلاف، وأخيرا **لجأ أنصار الإمام على إلى عقر الجمل وقتلوه، وأنزلوا السيدة عائشة بهودجها وأخرجوها من ساحة المعركة وحمل الهودج أخوها محمد بن أبي أبكر الذي كان في جيش الإمام على، وعمار بن ياسر.**

بعد إنزال أم المؤمنين من هودجها قدم إليها أخوها محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر فسلما عليها ولكنها أنكرتهما لأنهما كانا في جيش الإمام علي وجاء رجل يدعى أعين بن ضبيعة، فاطلع على الهودج وقال: والله ما أرى إلا حميراء، فقالت له: أهتك الله سترك، وقطع يدك، وأبدى عورتك، فقتل في البصرة وسلب وقطعت يده ورمي عريانا في خربة من خرابات الأزد وجاءها الإمام علي فقال: أي أمة يغفر الله لنا ولكم: قالت: غفر الله لنا ولكم .

مقتل الزبير بن العوام رضي الله عنه:

عندما تقابل الجيشان برز الإمام علي وطلب مخاطبة الزبير فبرز له فذكره الإمام علي بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حدث أن مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعلي: (ما يقول ابن عمتك؟ ليقاتلنك وهو لك ظالم) فانصرف عنه الزبير، وقال: إني لا أقاتلك، ورجع إلى المدينة وفي الطريق قتله ابن جرموز، وجاء للإمام علي يخبره بالخبر، فقال له الإمام علي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قاتل الزبير في النار).

وكان عدد القتلى في موقعة الجمل خمسة عشر ألف قتيل كما في بعض المصادر، خمسة آلاف قتلوا من أهل البصرة في الموقعة الأولى، وفي المعركة الأخيرة قتل خمسة آلاف من أهل البصرة وخمسة آلاف من أهل الكوفة .

تجهيز أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

جهز الإمام علي أم المؤمنين عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين إمرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ومعها أخوها محمد، وودعها الإمام علي بكل الود والاحترام مع ابداء الأسف لما جرى بين المسلمين في هذه الموقعة.

موقعة صفين :

بعد موقعة الجمل ولى الإمام علي عبد الله بن عباس على البصرة، وانصرف إلى الكوفة وأرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه لبيعته، **وعندما وصل رسول الإمام لمعاوية أرسل إلى عمرو بن العاص بفلسطين يستشيره، فأشار عليه عمرو بن العاص بأن يرسل إلى وجوه الشام ويلزم عليا دم عثمان، ويقاتله بهم، ففعل ذلك معاوية.**

وكان معاوية بالشام قد ألبس قميص عثمان الذي قتل فيه منبر جامع دمشق وعلق عليه أصابع نائلة زوجة عثمان مبالغة في استثارة أهل الشام، وكان يقوم في الناس خطيبا فيبكون عثمان ويدعونهم للمطالبة بقتلة عثمان، وآلى رجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء، ولا يمسهم الماء للغسل إلا من احتلام ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان.

فلما قدم جرير بن عبد الله إلى الإمام علي أخبره باجتماع أهل الشام على معاوية وأنهم يبكون عثمان ويقولون: ان عليا آوى قتلته، وأنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه.

زحف جيش معاوية إلى صفين كما زحف جيش الإمام علي كذلك ووصل معاوية قبل الإمام علي، وعسكر بصفين واستولى على الماء ومنع منها جيش علي، وقد نصحه عمرو بن العاص ألا يمنع عنهم الماء ولكنه لم يستجب له، وعندما عطش جنود الإمام علي أخبروا الإمام عليا بمنع معاوية لهم الماء، فقال لهم الإمام قاتلوهم على الماء، فقاتلوهم حتى أجلوهم عنه، وعندما استولى جنود علي على الماء لم يمنعوا جنود معاوية من وروده.

قام الإمام علي بإرسال الرسل إلى معاوية يدعوه إلى الطاعة والجماعة، ولكن معاوية رد الرسل ولم يقبل مبايعة الإمام علي والدخول في طاعته، فأخذ الإمام علي يأمر الرجل ذا الشرف، فيخرج معه جماعة، فيقتتلان ثم ينصرفان، وكانوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام لما يتخوفون أن يكون في ذلك من الاستئصال والهلاك، وبقوا شهر ذي الحجة عام ٣٦هـ على ذلك ولما كان المحرم أوقفوا القتال لعل الله يجري صلحا أو اجتماعا، ثم نشب القتال بين الطرفين وتقاتلوا، ويروى عن

الصقعب بن زهير الأسدي أنه سمع عمارا يقول: والله إني لأرى قوما ليضربُنكم ضربا يرتاب منه المبطلون، وأيم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق، وأنهم على الباطل.

ويروى عن حذيفة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن عمار بن ياسر " تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق، وإن آخر رزقه ضياح من لبن " ويروى عن ابن جوين انه قال: شهدته يوم صفين وهو يقول " ائتوني بآخر رزق لي من الدنيا، فأتي بضياح من لبن في قدح أروح له حلقه حمراء فشربه ثم قال:

اليوم ألقى الأحبة محمـدا وحزبــه

وكان عمار بن ياسر لا يأخذ واديا من أودية صفين إلا وتبعه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وآخر ما قاله عمار: تقدم هاشم فإن الجنة تحت ظلال السيوف والموت في أطراف الأسل، وقد فتحت أبواب السماء، وتزينت الحور العين.

فلم يرجع عمار بن ياسر وهاشم بن عتبه حتى قتلا في ذلك اليوم رحم الله عمار ابن ياسر الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله بقوله: (صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة).

حاقت الهزيمة في موقعة صفين بجيش معاوية وكان النصر حليف الإمام علي فلجأ عمرو بن العاص إلى الحيلة فطلب من الجنود رفع المصاحف على أسنة الرماح يطلبون بذلك التحكيم، واضطرب جنود الإمام علي بذلك لأنه كان في جيشه جمهرة من القراء والحفظة لكتاب الله فقالوا للإمام علي: تجيب إلى كتاب الله عز وجل وتنيب إليه، فقال لهم الإمام علي ويحكم ما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنا ومكيدة.

فقالوا: ما يسعنا أن ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله، فقال لهم: فإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ونسوا عهده، ونبذوا كتابه، فقال له مسعر في عصابة معهما القراء، يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذا دعيت إليه، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان، قال: فاحفظوا عني نهيى إياكم، واحفظوا مقالتكم لي، أما أنا فإن تطيعوني تقاتلوا، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم. قالوا له: فابعث إلى الاشتر فليأتيك.

وكان الأشتر قائد جيش علي ولم يكن راضيا لإيقاف القتال لأن النصر على جيش معاوية كان قاب قوسين أو أدنى، ولكنه لما علم بالفتنة التي أطلت برأسها أوقف القتال وقدم الإمام علي، وأرسل الإمام علي رجلا ومعاوية رجلا يتشاوران بما في كتاب الله للصلح بين الطرفين وإحقاق الحق، فرشح الإمام علي عبد الله بن عباس ليكون ممثله في هذا المجلس ولكن أعوانه الذين عارضوه في مواصلته عارضوه أن يختار رجلا من ثقاته ليمثله وقالوا له إنما نريد رجلا هو منك ومن معاوية سواء فرشح لهم الأشتر، وكان ردهم: وهل سعر الأرض غير الأشتر؟ **وأصروا على ترشيح أبو موسى الأشعري رغم معارضة الإمام علي اختياره لأن أبا موسى الأشعري كان واليا على الكوفة وخذل الناس عنه، وأمام إصرارهم قبل الإمام على على مضض.**

كان ممثل معاوية عمرو بن العاص، وكان جند الشام لمعاوية طوع بنانه فلم يحدث خلاف ولا فرقة بينهم .

اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري ممثلا للإمام علي، وعمرو بن العاص ممثلا لمعاوية في دومة الجندل، وعاد الإمام علي بجيوشه إلى الكوفة، كما عاد معاوية بجيوشه إلى الشام.

ظهور الخوارج :

لما أراد الإمام علي أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه رجلان من الخوارج: أذرعة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي، فدخلا عليه فقالا له: لا حكم إلا الله، فقال الإمام علي: لا حكم إلا الله، فقال له حرقوص ثب من خطيئتك، وارجع من قضيتك، وارجع بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا. فقال لهم الإمام علي قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبت بيننا وبينهم كتابا وقد قال الله عز وجل { وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون } وخرج الخوارج على الإمام علي وأرسل إليهم عبد الله بن عباس كما خرج إليهم بنفسه وجادلهم ورجع العديد منهم إلا أن الباقين قاتلوا الإمام علي، وأشار عليه جماعته بقتالهم فقاتلهم.

التحكيم ونتائجه :

اجتمع أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص في دومة الجندل، وطلب عمرو بن العاص بولاية معاوية لأنه ولي دم عثمان وله فضيلة في قريش، وعارضه أبو موسى الأشعري بأن علي بن أبي طالب صاحب الفضل وولاية دم عثمان أولى بها المهاجرون. **وكان رأي أبو موسى الأشعري تولية عبد الله بن عمر بن الخطاب واتفقا معا: أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص على عزل علي ومعاوية على أن يختار المسلمون لهم إماما، وصعد أبو موسى الأشعري وقال: إني قد خلعت عليا ومعاوية وقام عمرو بن العاص وقال: إن هذا قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي معاوية.**

الحال في مصر:

كان قيس بن سعد واليا للإمام على مصر وكان حكيما في إدارتها واستطاع أن يكسب أنصار عثمان ولا يقطع عطائهم فأستقام له أمر مصر، ولما شعر معاوية بحنكة قيس وتجربته أراد أن يخرجه من مصر فأشاع في أنصار علي أن قيسا يؤيدهم ويعامل أنصار معاوية معاملة طيبة في مصر ويشايع معاوية، وأدت هذه الأخبار إلى تشكيك الإمام علي في قيس بن سعد فعزله عن ولاية مصر وولى بدلا عنه محمد بن أبي بكر ولم يكن في دهاء قيس فلم يستقم له أمر مصر،وبعد التحكيم خرج عمرو بن العاص إلى مصر، فقام الإمام علي بإرسال الأشتر ليتولى حكم مصر بدلا من محمد بن أبي بكر، إلا أن الأشتر قتل مسموما في الطريق إلى مصر، **وتمكن عمرو بن العاص دخول مصر وقتل محمد بن أبي بكر وبالتالى خرجت ولاية مصر من تبعية الإمام على.**

قتال الامام علي الخوارج:

حاول الإمام علي أن يستأنف الحرب ضد معاوية لأن التحكيم لم يكن بكتاب الله وقد حدث خلاف بين الحكمين إلا أن أهل العراق تثاقلوا في مساندته، وكانوا كثيري الشغب عليه، فعلم بأنه مقتول لا محالة، فكان يقول لهم: " اسألوني قبل أن تفقدوني".

وثار الخوارج على الإمام علي بالنهروان فقاتلهم وانتصر عليهم، وبسبب الحزن الذي أصاب أهل الكوفة من قتلهم إخوانهم بالنهروان تثاقلوا في إجابة الإمام علي لقتال معاوية، وكان بعض الخوارج في جند الإمام علي، وكانوا يجاهرون في رأيهم مما زاد الإمام علي غما على غم، وهناك نماذج من خطب الامام علي توضح لنا تلك المعاناة التي وجدها رضي الله عنه من أصحابه لم نشأ أن نذكرها خشية الاطالة.

استشهاد الإمام على والبيعة لابنه الحسن:

يروي الطبري، أن ابن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولا تهم ، ثم ذكروا أهل النهر، فترحموا عليهم، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئا، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم لإخواننا. فقال: ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فسموها وتواعدوا في اليوم السابع عشر من رمضان عام ٤٠هـ.

فتمكن عبد الرحمن بن ملجم من قتل الإمام علي وهو خارج لصلاة الفجر،أما البرك بن عبد الله فقد أصاب معاوية ولكن ضربته لم تكن مميتة فتعالج منها وشفي، أما ما كان من عمرو بن العاص فإنه لم يخرج لصلاة الفجر في اليوم الموعود وصلى بالناس صاحب شرطته: خارجة بن حذافة فقتله عمرو بن بكر ظنا منه أنه عمرو بن العاص.

وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على الإمام علي بعد أن ضربه ابن ملجم، فقال له يا أمير المؤمنين، إن فقدناك أفنبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر، ودعا حسنا وحسينا فقال : " أوصيكما بتقوى الله وألا تبغيا الدنيا، وإن بغتكما ولا تبكيا على شيء زوى عنكما، وقولا الحق وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة ، وكونا للظالم خصما، وللمظلوم ناصرا، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذكما في الله لومة لائم " . **ولما حضرت الإمام علي الوفاة أوصى.**

وبايع الناس الحسن، وبقي الحسن في الخلافة ستة أشهر رأى خلالها تخاذل أصحابه، وضرورة اتفاق الأمة، فآثر الصلح، ودعا معاوية إليه فوافق، وتنازل الحسن له في ٢٥ ربيع الأول عام ٤١هـ
ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس، وانتقل الحسن والحسين المدينة ولم يكن الحسين راضيا بذلك، وكذلك قيس بن سعد.

وهكذا انتهت الخلافة الراشدة والتي استمرت ثلاثون سنة، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الخلافة ثلاثون سنة ، ثم تعود ملكا).

وإذا كان أبو بكر الصديق قد تولى عام ١١هـ وتنازل الحسن لمعاوية عام ٤١هـ فهذه ثلاثون سنة لا تزيد ولا تنقص.

وتعتبر فترة الخلافة الراشدة من أنضر فترات التاريخ الإسلامي، وهي الفترة التي سار فيها الناس والحكام سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان حكمهم شورى بينهم.

رحم الله أبا بكر وعمر وعثمان وعلي الذين كانوا قدوة صالحة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

المحاضرة الرابعة عشرة

التنظيمات الادارية والمالية في عهد الخلفاء الراشدين

عناصر المحاضرة

- **أولاً: التنظيمات الادارية:**

١- ديوان العطاء.

٢- ديوان الجند.

٣- ديوان القضاء.

- **ثانياً: مصادر الدخل المالية للدولة:**

١- الزكاة والصدقة.

٢- الخراج.

٣- الجزية.

٤- الغنيمة والفيء.

أولاً: التنظيمات الادارية

أخذت الإدارة العامة شكلها الحديث بالتدوين في السجلات، تجنبا للنسيان من جهة، واحترازاً من تلاعب بعض العمال من جهة أخرى، ولما اتسعت رقعة الدولة، وتشعبت شئونها، وصار من العسير أن ينهض رجل واحد بمسئولياتها لم يكن بد من أن يعهد الحاكم ببعض سلطاته إلى مساعدين له، ونشأ عن ذلك ما يسمى بالديوانية.

والديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال.

والديوان كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر وقد أطلق الديوان من باب المجاز على المكان التي تحفظ به الدفاتر.

١- ديوان العطاء:

واختلف الناس في سبب وضعه، فقال قوم سببه ان أبا هريرة قدم على عمر بمال من البحرين فقال له عمر ماذا جئت به؟ فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر، فقال له: أتدري ما تقول؟ قال نعم مائة ألف خمس مرات فقال عمر: أطيب هو؟ فقال لا أدري، فصعد عمر المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس قد جاءنا مال كثير فإن شئتم كلنا لكم كيلا، وإن شئتم عددنا لكم عدا، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانا لهم فدون أنت ديوانا وقال آخرون، بل سببه أن عمر بعث بعثا وكان عنده الهرمزان، فقال لعمر هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال، فإن تخلف منهم رجل وآجل بمكانه فمن أين يعلم صاحبك به، فأثبت لهم ديوانا، فسأله عمر عن الديوان حتى فسره له.

وفي رواية أخرى أن خالد بن الوليد قال لعمر: (قد كنت بالشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا، فدون ديوان وجند جنودا فأخذ بقوله، ودعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من شبان قريش، وقال اكتبوا الناس على منازلهم ففعلوا ما أمرهم به عمر.

وقدم أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب بمال فسأله عمر: بكم قدمت ؟ فقال بألف ألف فأعظم ذلك عمر، وقال: هل تدري ماتقول ؟ قال: نعم: قدمت بمائة ألف ومائة ألف حتى عد عشر مرات، فقال عمر: إن كنت صادقا ليأتين الراعي نصيبه من هذا المال وهو باليمن ودمه في وجهه.

وفرض عمر للطفل الذي يولد في الإسلام مائة درهم، وإذا فطم أعطاه مائتين وإذا بلغ زاده في ذلك، وكان في أول أمره لا يفرض للمولود حتى يفطم.

وكان عمر يجري الأرزاق على الناس، فكان يرزق الرجل والمرأة والمملوك حريبيين في كل شهر، ولم يعط عمر الناس جريبين إلا بعد تجربة أجراها أثبتت له أنه يكفي الفرد ثلاثين يوما.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يساوي بين الناس في العطاء، فجاءه بعض المسلمين وقالوا: يا خليفة رسول الله إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس ومن الناس من لهم فضل، وسوابق وقدم ، فلوا فضلتهم؟ قال: أما ما ذكرتم من السوابق والفضل فما أعرفني بذلك، وإنما ذلك شيء ثوابه على الله، وهذا معاش فالأسوة فيه خير فيه الأثرة فلما جاء عمر قال: إن أبا بكر رأى في هذا المال رأيا، ولي فيه رأي، آخر: لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه، ففضل أهل السوابق والمشاهد في الفرائض.

٢- ديوان الجند :

أوجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ديوان الجند، وحصر أسماء أهل الفيء، وهم المدافعون عن الدولة، وقدر أعطياتهم أو رواتبهم كل عام.

وكان الديوان موضوعا على دعوة العرب وترتيب الناس فيه معتبرا بالنسب، وتفضيل العطاء معتبرا بالسابقة في الإسلام وحسن الأثر في الدين، ثم روعي في التفضيل عند انقراض أهل السوابق بالتقديم في الشجاعة والبلاء في الجهد، فهذا حكم ديوان الجيش في ابتداء وضعه.

ومما سبق يتبين لنا أن الدولة الإسلامية كانت تعطي الجندي مايكفيه من مال هو وعياله ولا تجعله يلجأ للبحث عن مصدر آخر لتغطية نفقة حياته،وهذا يعين الجندي في التفرغ للجهاد ولا ينحرف عن جادة الطريق. كما أنها لم تعطه ببذخ فيصاب بالبطر والترف.

والملاحظة الجديرة بالاعتبار هي أن راتب الجندي بالإضافة إلى اعطائة ما يكفيه ومن يعول، فقد تمت مراعاة المنطقة التي يعمل فيها الجندي من حيث رخص الأسعار وغلاؤها اذ يراعى مستوى المعيشة في كل بلد فإن كانت البلد رخيصة قلت الرواتب وإن كانت البلد مرتفعة المعيشة زيدت الرواتب وفي ذلك عدل وتسوية.

والراجل يعطى سهما واحدا في الغنائم، ويعطى الفارس ثلاثة أسهم دفعا لحاجتهما فإن الفارس يأخذ سهما لحاجته، والسهم الثاني لفرسه، والسهم الثالث لسائس فرسه فيسوى بينهم في المال الذي أخذه.

٣- ديوان القضاء:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي بين الخصوم بنفسه، وظل نظام القضاء في عصر الخلفاء الراشدين كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه تم تنظيمه في عهد عمر بن الخطاب لاتساع رقعة الدولة في عهده فولى أبا الدرداء قضاء المدينة معه كما ولى شريحا قضاء البصرة، وابا وسى الأشعري قضاء الكوفة. وترك لبعض الولاه تولية قضاتهم على الأقاليم فولى عمر بن العاص قضاء مصر لعثمان بن قيس بن أبي العاص.

وقد فصل عمر رضي الله عنه سلطة القضاء عن الولاية السياسية، فجعل للسلطة التنفيذية ولاة وللسلطة القضائية قضاة تمكينا للتخصص وتحقيقا للعدالة كما قرر للقضاة أرزاقا.

ثانياً مصادر الدخل المالية للدولة:

١- الزكاة والصدقة :

الزكاة في الشرع تطلق على الحصة المقدرة من المال التي فرضها الله للمستحقين، كما تطلق على نفس إخراج هذه الحصة، وسميت هذه الحصة المخرجة من المال زكاة لأنها تزيد في المال الذي أخرجت منه، وتوفره في المعنى، وتقيه الآفات.

معنى الصدقة : والزكاة الشرعية قد تسمى في لغة القرآن والسنة صدقة وقد قال عنها الماوردي : " الصدقة زكاة، والزكاة صدقة يفترق الاسم ويتفق المسمى ولا يجب على مسلم في ماله حق سواها "

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس في المال حق سوى الزكاة ". وقد قال الله تعالى : {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها}

على من تجب الزكاة ؟

أجمع العلماء على أن الزكاة تجب **على المسلم البالغ العاقل الحر المالك لنصابها المخصوصة بشرائطه. ولا تجب الزكاة على غير المسلم لأن الزكاة أحد أركان الإسلام.**

والأموال المزكاة أربعة:

١- الماشية وهي الإبل والبقر والغنم، وسميت ماشية لرعيها وهي ماشية.

٢- ثمار النخل والشجر. ٣- الزروع . ٤- الفضة والذهب

وتختلف أنصبة الزكاة في هذه الأموال ولا نريد أن نخوض في تفاصيلها وهي مشروحة بتوسع في كتب الفقه، وأردنا أن نبين أنها من موارد الدولة المالية الهامة والتي تعتمد عليها الدولة اعتمادا كبيرا في ميزانية الدولة وللصرف في وجوهها المبينة .

٢- الخراج :

أوجدت الفتوحات الإسلامية مشكلة كبرى وهي: ماذا يعمل بكل هذه الأراضي الفسيحة التي آلت إلى حكم المسلمين، وماذا يكون مصير أهلها المقيمين عليها ؟

وعندما اختلف الصحابة على عمر شكل لجنة من الأنصار: خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج وعرض حجته عليهم فوافقوا عمر على رأيه بالإجماع، فكتب عمر بعد ذلك إلى سعد بن أبي وقاص وإلى أبي عبيدة بن الجراح بما رآه لينفذاه. قال أبو يوسف " والذي **رأى عمر رضي الله عنه من الامتناع عن قسمة الأراضين بين من افتتحها،** عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك توفيقا من الله كان له فيما صنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين. وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم، لأن هذا لو لم يكن موقوفا على الناس في الأعطيات والأرزاق، لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد".

وكان قرار عمر بن الخطاب من أخطر القرارات في تاريخ الفتوح وقد أصبحت الأراضي التي فتحها المسلمون، وكذلك ما يمكن أن يفتحوه من بعد، أصبحت ملكا عاما للأمة الإسلامية بدلا من أن تكون ملكا متقاسما بين الأفراد يتداولونه ويرثه الأبناء عن الآباء.

وقد طبق هذا القرار على مصر أيضا بعد فتحها، فقد ذكر أبو عبيدة حديثا عن سفيان بن وهب الخولاني، أنه قال: لما افتتحت مصر بغير عهد، قام الزبير فقال: يا عمرو بن العاص أقسمها كما قسم

رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر، فقال عمرو: لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إلى عمر، فكتب اليه عمر:

أن دعها حتى يغزو منها حبل الحبلة، قال أبو عبيدة: أراه أراد أن تكون فيئا موقوفا للمسلمين ما تناسلوا يرثه قرن عن قرن.

ولم يُغير عثمان وعلى ما فعله عمر لأنهما كان موافقان لرأيه من البداية، وكان على يقول : " إن عمر كان رشيد الأمر، ولن أغير شيئا صنعه عمر ".

أوضاع الأراضي المفتوحة:

١- **الوضع الأول :** يتناول أرض الفيء التي صولح أهلها على أنها لهم أي تظل ملكية الأرض لهم، قبل أن يشتبكوا في حرب مع المسلمين لأن أهلها صاروا بهذا الصلح أهل عهد، وجاز إ قرارهم فيها مع بقاء ملكهم عليها، وهذا النوع من الأرضين، يجوز للدولة الإسلامية أن تبيعه ويسقط خراجها بإسلام أصحابها لأنه كالجزية.

ومن هذا القبيل ما وقع بمصر.

٢- **الوضع الثاني :** يتناول أرض الفيء التي صولح أهلها على زوال ملكهم عنها بحيث تؤول إلى الدولة الإسلامية ولكن يبقى أهل الصلح فيها – وقد تم ذلك دون أن يشتبكوا في حرب مع المسلمين وهذا النوع من الأرضين لا يجوز بيعه لأنه بمثابة وقف، ويكون خراجه بمثابة إيجار له ولا يسقط هذا الخراج بإسلام أهله، بل يجبيه المسلمون منهم – سواء أسلموا أو لم يسلموا – لأن أهل هذه الأرض صاروا بهذا الصلح أهل عهد، وجاز إ قرارهم فيها على التأبيد وتسمى " دار صلح"، ويقول ابن آدم: " كان المسلمون إذا صالحوا قوما من العجم، سواء من عبدة الأوثان أم من أهل الكتاب فإنهم يرفضون عليهم الجزية على الرؤوس، والخراج على الأرض" .

٣- الوضع الثالث:

أ- يتناول الأرض التي دافع عنها أهلها وقد اشتبك المسلمون معهم في حرب، وانتصروا عليهم، واستولى على أرضهم عنوة وقهرا فهذه الأرض من باب الغنيمة وللحاكم أن يوزعها توزيع الغنائم بين من غلب عليها، فهي أرض فيء، وليست بخراجية وأهلها رقيق.

ب- وللحاكم أن يقف هذه الأرض على مصالح المسلمين ولا يوزعها على المحاربين، وذلك باسترضائهم أو تعويضهم عن أنصبتهم، ثم يتركها في أيدي أصحابها، على أن يدفعوا خراجها، حتى ولو أعلنوا إسلامهم، وما يقدمونه من مال وغلة إلى خزينة الدولة بمثابة إيجار مقابل زراعتهم وانتفاعهم منها.

٤- **الوضع الرابع:** يتناول الأرض التي أسلم أهلها عليها – قبل قهرهم فهي في ملك صاحبها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ومن أسلم على شيء فهو له" وتعتبر عشرية، أي يدفع أهلها عنها ضريبة باعتبارها أرضا زراعية، وليست خراجية، وهذه الضريبة هي الزكاة.

ومن هذا القبيل أرض اليمن التي أسلم أصحابها وكتبوا للنبي صلى الله عليه وسلم، فأقرعهم على أرضهم، وأرسل لهم من يعلمهم أمور الدين ويأخذ الزكاة من المسلمين والجزية ممن آثر البقاء على دينه.

٥- **الوضع الخامس:** يتناول الأرض التي امتلكها المسلمون بعد فرار أهلها خوفا، وقد قذف الله في قلوبهم الرعب، فيعرض عليهم الإمام الخراج إلى الأبد باعتباره أجرة في مقابل زراعتها، سواء زرعها المسلمون، أو الذميون. **وهذا النوع من الأرض هو أصل الأرض الخراجية وهو وقف على مصالح المسلمين.**

٣- **الجزية :**

قال أبو يوسف (والجزية واجبة على جميع أهل الذمة ممن في السواد وغيرهم من في الحيرة وسائر البلدان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة ... وتجب الجزية على الرجال منهم دون النساء والصبيان).

وقال عامر الشعبي: أول من فرض الخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرض على أرض هجر، فلما كان عمر بن الخطاب فرض على أهل السواد. والمقصود به هنا جزية الرأس أو ضريبة عامة مأخوذة عن الرأس الأرض معاً.

وضع عمر بن الخطاب الجزية على أهل الذمة كل بحسب طاقته فعلى الموسر ثمانية وأربعون درهماً وعلى الوسط أربعة وعشرون درهماً وعلى العامل إثنا عشر درهماً، **يؤخذ ذلك منه كل سنة**.

ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يتصدق عليه، ولا من أعمى ولا من لا حرفة له ولا عمل ولا من لا ذمي يتصدق عليه ولا من مقعد. والمقعد والزَّمِنْ إذا كان لهما يسار أخذ منهم ، وإن كانوا مساكين يتصدق عليهم أهل اليسار منهم ولا يؤخذ منهم، وكذلك أهل الصوامع إن كان لهم غنى ويسار.

وعن **الفرق بين الجزية والخراج** يقول الماوردي: **فأما الأوجه التي يجتمعان فيها**:

١- أحدهما: أن كل واحد منهما مأخوذ عن مشرك صغاراً له وذله.

٢- والثاني: أنهما مالا فيء يصرفان في أهل الفيء.

٣- والثالث: أنهما يجبان بحلول الحول ولا يستحقان قبله.

أما الأوجه التي يفترقان فيها:

١- أحدهما: أن الجزية نص وأن الخراج اجتهاد.

٢- والثاني: أن أقل الجزية مقدر بالشرع وأكثرها مقدر بالاجتهاد والخراج أقله وأكثره مقدر بالاجتهاد.

٣- والثالث: أن الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الإسلام، والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام.

فأما الجزية موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء، إما جزاء كفرهم لأخذها منهم صغاراً، وإما جزاء على أمانتنا لهم لأخذها منهم رفقاً والأصل فيها قوله تعالى :(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدَ وهم صاغرون).

٤-الغنيمة والفيء:

أما الغنيمة فقد جاء في القاموس عنها:(والغنيمة والغنم بالضم:الفيء....والفوز بالشيء بلا مشقة،أوهذا الغنم،والفيء:الغنيمة.

وقال أبويوسف بعد ذكره الآية: (وأعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) مفسرا (فهذه والله اعلم فيما يصيب المسلمين من عساكر أهل الشرك وما أجلبوا به من المتاع والسلاح والكراع، فإن في ذلك الخمس لمن سمى الله في كتابه وأربعة أخماس بين الجند).

وقد قال الشافعي: (الغنيمة هي الموجف عليها بالخيل والركب والفيء هو مالم يوجف عليه بخيل ولا ركاب).

وقال يحيى بن آدم: (والغنيمة ما غلب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه عنوة، والفيء ما صولحوا عليه، أي من الجزية والخراج...).

وقال الماوردي:(والغنيمة والفيء يفترقان في أن مال الفيء مأخوذ قهرا، ثم قال: وإن مال الفيء: هو كل مال وصل من المشركين عفوا، من غير قتال، ولا إيجاف خيل ولا ركاب. فهو كمال الهدية والجزية وإعشار متاجرهم، وكان واصلا بسبب من جهتهم كمال الخراج).

وقد وقع الاختلاف بين الفقهاء في تعريف الفيء والغنيمة، والتعريف الذي استخدمه الريس للغنيمة: (أنها الأموال أي المنقولات التي أخذت من المشركين بالقتال) والفيء: (هو الأرضون أوالعقار، وهي في الأصل أخذت عنوة، ثم اتفق عليها، ويجوز أن تؤخذ بالصلح دون قتال، وهذا هو أكثر استعمال الفيء، أو المقصود به في الأغلب، ويكون من الفيء ما يستتبع الغلبة على الأرضين، وهو الجزية، وكذا كل ما يحصل عليه من غير المسلمين بدون قتال).

والتفرقة بين المنقول والعقار، من اجتهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وثمرة فهمه لكتاب الله تعالى وروح الشريعة.

والغنيمة تقسم حسب نص الآية على الخمسة الأسهم المعنيين الرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل: لكل سهم ثم يصرف سهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته في مصالح المسلمين كأرزاق الجيش والقضاة وهذا رأي الشافعي.

وقال أبو حنيفة: أن سهم الرسول قد ارتفع بعد موته، وكذا أسهم ذوي القربى، فيقسم الخمس عنده على الثلاثه الباقين. أما مالك فيفوض التصرف للإمام بإجتهاده: يضع الخمس كله في مصالح المسلمين أويوزعه على المذكورين كلهم أوبعضهم أوغيرهم بحسب المصلحة.

ويبدو أن الخلاف بين الفقهاء في التعاريف السابقة إنما نشأ من تعريفة السابق، الذي جعل مدار التفرقة بين الغنيمة والفيء هو القهر أو الصلح، لا المنقولية أو العينية.